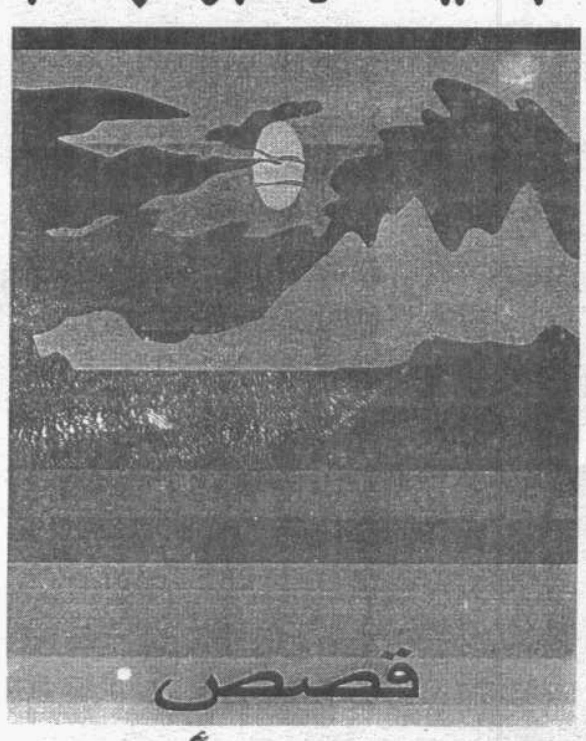
الهيئة العامة لقصور الثقافة
أقليم القناة وسيناء الثقافي
ثقافة شمال سيناء



إبداعات أدبية
تصدر عن ثقافة شمال سيناء

تجاعيد على حجر من ذهب



قصص

حسن غريب أحمد

إهــداء

* إلى العريش .. مدينة القلب الأخضر التي تسكن بفؤادي .

* إلى طيب القلب وحبيب الروح الروائي العربي الكبير الأستاذ / محمد جبريل

حسن غريب أحمد

كــل هذا الوفاء !!

كانت الشمس تغرس أشعتها فى صدر السماء حينمـا استيقظ جرس المنبه العجوز ليعلمه أن الساعة هــى السادسـة..مد يده متثـاقلاً ليخمد أنفاس المنبه..بعد لحظـات نهض مـن فراشـه وهو نصـف عـار ولجأ إلى الحمام..رشق وجهه بقطرات من الماء..فتـح الخزانـة..أخـرج بنطاله البنى وقميصه الأبيض..نظر إلى البنطال بعينين ناعستين ثم قرر أن يتناسى بقعة الشاى التى إستقرت على الجهة اليسرى منه..نظر إلى وجهه فى المرآة..حاول أن يصفف شعره الأجعد..أخيراً..قرر أنه جـاهز للخروج..وفى خارج البيت كان (أبوحامد) بـائع الجرائـد ينـادى بصوتـه الأجـش: "جرائـد جرائـد" تقـدم منـه..ألقـى عليـه السـلام ثـم إبتـاع الجريدة..استقر على موقف الأتوبيس..غمس رأسه فى الجريدة محـاولاً العثـور علـى زاويـة "حظـك اليـوم".. آهٍ هـا هـى أخـيراً..بـرج الجـوزاء: سيكون يومك جميلاً..كن أكثر عاطفة..رقم الحظ ٦. هلكت بضع دقـائق قبل أن يظهـر الأتوبيـس عن بُعد كـان أشـبه بعمــلاق يـترنح. وصـل الأتوبيس..وضـع الجريـدة تحـت إبطـه..ليبدأ بخـوض معركـة ركـوب الأتوبيس..بعد جهد تمكن من الحصول علـى مقعد داخل الحافلـة..أخذ ينفض غبار المعركة عن ثيابه..كان يحاول تعديل جلسته عندمـا إنتبـه إلى وجود فتاة بجانبه تصنع الأدب حينما لمس سـاقيها..لكنهـا لـم تعره إنتباهاً..انطلق الأتوبيس متثاقلاً كأنــه يجر كل آثام البشرية كان يعلـــم أن الطـــريق

طويلة فأراد أن يتسلى..عدل رابطة عنقه..ثم أخذ يصف الكلمات ليقول لتلك الفتاة: "صباح الخير أنا على محمد موظف فى هيئة البريد" .. عندما نظرت إليه الفتاة..أحس للحظات أنها سوف تبصق فى وجهه..كاد يقفز من الحافلة..حينما اخترق أذنيه قولها: "صباح النور أنا شيماء فى أحمد..تبدو شخصاً لطيفاً" ..بدأ يجتر الكلمات المنمقة التى لطالما سمعها الأفلام القديمة..كانت أكثر جرأة منه حينما أمتدحت ذوقه فى اختيار ألوان الملابس..فطن إلى بقعة الشاى فحاول وضع ركبته اليمنى فوق اليسرى مصطنعاً تعديل جلسته..أحس حينها أنها وقعت فى غرامه ..فرشق بعض الكلمات قائلاً: "أنا أعزب وأملك شقة" قالها بلا مبالاة مصطنعة فهمت مايرمى إليه..صرحت له أنها أعجبت به من أول نظرة حينما كان يقرأ الجريدة بإنشغال..لم يرتو من شذى حديثها حيث وصلت إلى وجهتها وهمت بالنزول طلب منها رقم هاتفها لكنها رفضت واكتفت بقولها: "غداً عند موقف الأتوبيس"..غادرت الحافلة على عجل..لتتركه ولهاناً يفكر فى خيوط الذهب المترامية على كتفيها..حاول أن يتذكر اسمها لكنه لم يستطع..إذ كان مأخوذاً آنذاك..لكنه تسامح مع ضعف ذاكرته فهو سيقابلها على أى حال فى الغد. لحظات وتوقف الأتوبيس ليضع ذلك السارح على رصيف هيئة البريد..دخل الهيئة دون وعى وفى قسمه جلس على المكتب وهو مايزال يفكر فى ذلك الطيف..أفاق على صوت زميله حازم يلقى عليه التحية عندما أفاق من أحلامه ونظر إلى زميله

الذى كان يحاول استعراض خاتم الخطوبة أمامه وقد نقش عليه

الحرف " ش" حينما توجه إلى صديقه مسرعاً مقلباً إصبعه..مبارك يا حازم متى تم ذلك يا رجل؟ . بالأمس لم أستطيع أن أعلم أحداً..تم الموضوع فجأة. آه..إذن أخيراً سنتخلص منك..عندها انفجر المكان بالضحكات العالية..لكن حازم توقف ليقول بجدية أخشى أنكم لن تروني بعد اليوم..توقف الجميع ونظروا إلى حازم والقلق يعسكر في أعينهم..سوف أسافر إلى الخارج بعد عقد قراني غداً..صهري ينتظرنا هناك..هل سترجع إلى هنا؟.. لاأظن ..فسأعمل في شركته أيضاً..لما شارف العمل على الإنتهاء تقدم حازم ليودع جميع الزملاء وعندما وصل إليه عانقه بحرارة وقال له قبل أن يغادر : سأنتظرك الساعة الثامنة مساءً لتكون الشاهد على عقد تنس..عاد الجميع إلى العمل مرة أخرى..كان لا يزال يفكر بتلك الفتاة حينما قفل عائداً إلى بيته في آخر النهار..استرخى على سريره..كان التعب والتفكير قد نالا منه فخلد إلى نوم عميق.. لم يفق إلا على ميلاد فجر اليوم التالي..عندما قفز كالمجنون من سريره..فلقد نسى موعد صديقه حازم لكن لا بأس فالموعد الأهم لم يفت..جهز نفسه لمقابلة تلك الفتاة..نزل على عجل.. ولم ينس أن يتناول جريدته المعتادة. على موقف الأتوبيس كان يقف بإنتظار حضورها لكن الوقت مر بسرعة ولم تأتِ..فاضطر لركوب الأتوبيس وذهب إلى العمل..وفي الصباح التالي كان أيضاً ينتظر فتاته بشوقٍ لكنها لم تأت ينقضي من شريط حياته سبع سنين ليقف على موقف الأتوبيس ذاته ممسكاً الجريدة وقد شُغل بالقراءة..عندما تقدم

منه أحدهم من آخر الدور ليعانقه بحرارة إنه الغائب حازم وقد عاد من السفر أمسك بيده واقتاده ليقف أمامها مرة أخرى وقد أمسكت بطفلين..أعرفك زوجتى شيماء. عندما ألقى الجريدة من يده..عاد إلى أول الدور وقد دمعت عيناه لكن الحافلة لم تأت.

....



تمـــرد !!

أحست بالخدر يأكل ركبتيهـا ، فـأرخت سـاقيها علـى سريرها الضيق التى كانت قد استلقت عليه منهكة " منذ الظهيرة..كانت قد قضت سـاعات الصبـاح فـى تنظيـف المـنزل ككـل صبـاح تكنـس هنـا ، وترتـب هناك..هكذا بحركات تقوم بها دون تفكير وكأنها أدمنت صباحاً " تعباً " حتى الإنهاك .. بعد ذلك – وكطقس مقدس إعتادت عليه – انتقلـت إلـى المطبخ لتعد الطعام قبل أن يعود والدهـا عنـد الغداء..بحركـة كسـولة اختصرت كآبة الحياة التى تعيشها..سحبت جسدها الفتى لترتفع برقبتهـا على المخدة المرمية كيفما اتفق علـى طرف السرير..وبكبريـاء خبيث مالت برأسها وخفضت عينيها لترى وبفخر مصحوب بشخير من الرغبة الضيفين اللذين حلا مؤخراً على صدرها كقدر محتوم. أحست بخدر فـى أعلـى رقبتهـا..فأعـادت نفسـها بحركـة كسـولة إلـى وضعيتهـا السـابقة لتستقر عيناها مجدداً على سقف الغرفة نصـف المظلمـة. كـانت منهكـة ووحيدة وعاجزة عن استجماع تفكيرها حول شـئ بعينـه..كـل مـا كـانت تستطيع أن تفعله هـو أن تجـول بناظريهـا أرجـاء الغرفـة وأن تتمحـص الأشكال التى رسمها الفقر علـى السـقف والجـدران. علهـا تجـد شـكلاً " مألوفـا " لديهـا وأن تنطلـق بخيالهـا فـترى جـدران الغرفـة وقـد تقـاربت لتطبـق عليهـا مـن كـل الجهـات . قريبـاً يحـل المسـاء .. والدهـا تنـاول طعامه واضطجع فى غرفته كوحش هده الجرى وراء فريسته. ووالدتها ذهبت لتزور شقيقتها التى سبقت إلى عجوز لم تـره من قبل

منذ أيام قليلة. تحركت الفتاة عن سريرها بحركة سريعة وقد مضت عيناها وأضاء وجهها كانت ترتدى فستانها الوحيد وكأنها تسابق الريح

خرجت من غرفتها حافية القدمين على رؤوس أصابعها..ومن خلال وريقات الياسمينا التى غطت النافذة بكاملها استطاعت أن تراه مستغرقاً فى سبات عميق..فتحركت بجسدها الفتى الذى أحسته ليس لها ، وببطء شديد إلى باب المنزل فتحته وخرجت .

كانت وقد مشت فى الشارع برعب يقطع أوصالها لاتمتلك أدنى فكرة عن وجهتها..كل ما كانت تيقنه هو أن الغرفة الحقيرة ستبقى فى داخلها إلى الأبد تلاحق كل خطوة من خطواتها .

****



فنجـــان قهـــوة !!

إهداء: إلى [illegible] وأصدق حب فى الوجود (أمى) [illegible] حتى النخاع

عيناىَّ خلف زجاج النافذة ، ترقبان الطريق المبتلة بمياه المطـر ..ما زال المطر يتساقط ، حباته منظمة خفيفـة...الغيوم تملأ السماء ، تتجمع من هنا وهناك ..إنه الشتاء يعود بائساً حزيناً كما رحل.

قضيت ليلى ساهراً خلف المنضدة المضاءة .. قرأت كثيراً .. أشعاراً عن الحب والحزن ، أشعاراً عن الوطن والدم ، ولكنى لم أجد نفسى .. بحثت عنها خلف السور .. عدوت من صفحة لأخرى .. قلبت الفواصل وإشارات الإستفهام تعبت .. توقفت .. ألقيت نظارة القراءة على الطاولة .

فركت ظهرى على الكرسى الخشبى ... إرهاق يدمر جسدى وأفكار تؤرقنى .. أتوسل إلى النوم بلا جدوى .. أعود إلى الكتاب أيها الحب ليتك كنت وردة جميلة هل كانت ستحبنى لو علمت أنى جبان وأطرد الأفكار بل أحاول إقتلاعها . ولكنها تنشب مخالبها فى كل خلايا جسدى .. أتناول ركوة القهوة المسودة لكثرة الإستعمال ، خيط الماء المتدفق من الصنبور أشبه بفكرة تتدفق بحيوية ثم تصمت إلى الأبد . لون اللهب الأزرق تحترق ركوة القهوة يذكرنى بعينيها عندما قلت لها إننى أعشق لون عينيها لأنه يذكرنى بلون ثوب أمى الأزرق ..ضحكت .. ضحكت بعمق وارتسمت على شفتى إبتسامة مبهورة بلهاء .قالت وهى

تغالب ضحكتها : " إنى أروع من يجيد الغزل "
إبتسمت لها مجدداً .. رغم أن لهجة السخرية فى كلماتها لم تعجبنى .
ها قد إنطفأ اللهب الأزرق بفورة القهوة .. أغلقت مفتاح الغاز وحملت رقوتى سكبت ما فيها فى فنجانى الوحيد .. رائحة القهوة منعشة ..
كانت أمى ترفض سفرى وتكرهه لأنها تعشق تراب الأرض .. سأعود يا أمى .. سأعود يوماً ... لن تعود من يترك الأرض لا يعود إليها أبداً.

****



عاشقان تحــت الأشجـار !!

إهـــداء: إلى امرأة صارت بوجه باهت وبلا معالم

مطر أيلول .. تهمـس ورزاز الخريـف يتنـاثر حولهـا وينـزلق على وجهها وشعرها المبعثر .. لنعد فقد يؤذيك المطر يهمس تنظر إليه .. تتمعن ملامحه الحارة هى هى .. لكنه لـم يعد هـو .. أشياء كثيرة تغيرت لا بأس . تتمتم .. تستمر بالمشــى فـى محازاتـه .. الشـارع هـو الشارع .. المقهى هو المقهى .. ربمـا تغير مكـان طاولتنـا .. الحديث أيضاً تغير .. فقد كل نكهة .. ثمة شرخ فى مكان ما .. هل هو الزمن ؟ أم الجرح العميق ؟ خرجا من المقهى وقوة خطواتهما ينقـر فـى رأسـها كانفجارات متتالية .. تهشم الصمت الـذى يلفهمـا منـذ أن خرجـا .. فـى العقل ضجيج وفى القلب ضجيج .. والشارع

الملئ بالنخيل طويل شـبه مهجـور فـى هذا المسـاء الأيلولـى يزيـد مـن توترهما وإحساسهما بالوحشة .

" ألفت " .. يحاول قطع الصمت .. " ألفت " لا تجيب .. ينظر إليها برفق ويناولها منديلاً لتمسح ماء المطر المتدفـق علـى وجههـــا .. تصعقهـــا نظـــرة متدفقة من عينيه للحظة تشعر أن ماساً كهربائياً مس جسدها .. هل لامست أصابعها أطراف أصابعه .. لاتدرى فقد ولت هاربـة .. كـان بالنسبة لها ولعقلها المراهق صـورة لاتخدش . ألفت " يتردد الصـوت وكأنه صدى لاتعرف من أى مكان يأتى !!

ودموع آلة المطر تثيره على وجهها..الصوت يخترق أذنيها ولكنها لاتميزفيه صوت الماضى والحاضر ..." ألفت" أرجوكِ أن تفهمى.. "ألفت" أرجوكِ أن تفهمى .. يهزها بقوة .. الشارع شبه مهجور فى هذا الوقت .

" ألفت " افهمينى لست أول من غادر هذه البلد ولن أكون الأخير ولكن .. ولكن ماذا ؟ ستظلين " ألفت "..

ولكنك لم تظل ذلك الرجل الذى أحببته طوال هذه السنين ، كحجر ترمى كلمتها الأخيرة بوجهه وتشرد فى الماضى البعيد أنتِ متعبة سأوقف تاكسى . تقف السيارة بمحاذاتهما ، يصعد بهدوء وقبل أن يجيب على سؤال السائق عن وجهتهما تنظر إليه بسرعة وتجيب.. إلى شاطئ النخيل ..وحيدان وسط العتمة إلا من بعض ضوء ترسله السفن من البحر .

ثمة شئ يجب أن يقال يحاولان انتزاعه وسط صخب التعب والعتمة والوحشة. يقترب منها بحذر .. يحيطها بذراعيه ،..ويضع قبلة ساخنة. لقد عذبتك (تهمس) تدفن رأسها فى صدره بقوة .. تنهمر بضع قطرات دافئة .. تذيب صقيع وجهيهما الملتصقين .. يبتعدان كل عن الآخر .. ستسافرين وحدك فى هذا الوقت المتأخر ؟ .. سأصل عند إنبلاج الفجر .

....

شبـــح سعـــد !!

إهـــداء: إلى شقيقتى الغالية صاحبة القلب الكبير الحاجة / منيرة .

مع أن شقيقتى لها ثلاثة أبناء إلا أن ابنتها الصغرى (أسـماء) وحدها استعمرت قلبى واستأثرت بكل محبتى لأسباب لا أزعم حتى لنفسى صحة تأويلها أو القطع بها وأعرف تماماً أن علاقتى بالأطفال سيئة للغاية فلا أطيق رائحتهم فى الرضاعة وأشمئز من صراخهم وعويلهم الذى لا ينقطع ، وأدرك أننى لاأحتمل بقاء طفل بين يدى أوعلى كتفى دقائق حتى من باب المجاملة لوالديه أو لإظهار شعور زائف باعزازى لهم ولأطفالهم ..(أسماء) وحدها كسرت كل الحواجز وعبرت كل الجسور ، وشقيقتى تجزم أنى أحبها لأنها تشبهنى تماماً ، وصديقى يؤكد أن أواصر الشبه بينها وبين من كانت حبيبتى وأنا أسرح وأفكر واستبطن ذاتى لأدفع عن نفسى اتهاماتهم ولكن بلا جدوى .. أضمها لصدرى وأضحك فتتعلق بعنقى وتشتمهم وتضحك لأنها جاءت لعالمى فى الوقت المناسب جداً قبيل الخروج من أزمتى الحادة التى امتدت سنوات، وكدت أفقد ذاكرتى للأبد .. ربما كانت رسول الحياة وبشير الأمل والثقة فى النفس والأدب " ربما " ولأن (أسماء) كانت ومازالت معلمتى وصديقتى يحلو لى أن أبدأ موضوعاً هكذا "..كان سعد حين يجوع أو يعطش يمأمئ بشدة مزعجة فتسرع إليه الصغيرة (أسماء) بنت الربيعين ، بكل براءة تسرع إليه ظنا منها

أنه يناديها .. بلا خوف تمسك رقبتـه ، ثم تعتليه وحيـــن يجرى بهـــا تصرخ وتتادينى لكى أخطفها من فوقه ثم تعيد الكَرة وهكذا بلا آخر. حتى استيقظت يوم العيد فلـم تسمع لـه صوتـاً وأخذت تفتش عنـه كل الحجرات وتصرخ فى وجهى أين (سعد) ؟ أين خروفى يا خال ؟ عقـدان من الزمان مرا وقد تناسيت قصتى أنا أيضاً مع (سعد) فلم أستطيع الرد أو الجواب ولم أجرؤ على قتل حبيبتى (أسماء) كما قتلتنى . اتذكـر الآن جيداً ثلاثـة أعوام ظلت معدتـــى ترفض وبشـــدة أى زائر مـن فصيـلة اللحـوم .من السابعة للعاشرة مـن عمـــرى لـم يطرق جوفى حتـى السمك (أسماء) مازالت تصرخ فى وجهى وأنا عاجز حيالها ومازلت أبكى .. الشريط كله يمر أمامى وصدى صوته يخرم أذنى.

كان (سعد) صديقى ورفيـق طفولتـى يمـأمئ بشـدة فأسرع إليـه بـأعواد البرسيم الأخضر وحفن الذرة الجافـة ثـم نستأنف اللعب والجرى فـى حوش بيتنا القديم الذى مازال يسكننى ومازلت أسكنه فمنذ فارقناه لآخر وقلبى لايتسع أبداً لسواه (أسماء) مازلت تصرخ وأنا جامد حيالها.

وها جدتى فى ضحى يوم العيد تسرع إلى رفيقى وتقبض عليـه . تكتفـه بكلتا يديها وتجره بعنف من الحوش لصالة جانبيـه معتمـة ، ثـم تسلمه لأبى بدوره يسلمه لعمى يكبر بصوت مسموع . "حكم عليك ربـك وقـدر" ، ثم يرفع يده لأعلى وأبى يقلب له عنق (سعد) ليهوى عليها بسكيـــن

بشعة يذبحه بلا رحمة، وروحه تتطاير أمامى وخرير دمه يصرخ بشدة وعيناه تجحظان وأنفاسه تسكن رويداً رويداً .. تسكن وهم يتضاحكون وينسحبون من حوله ويتبادلون التهنئة بالعيد المبارك.

ذبحوه أمام عينى وسلخوه وبقروا بطنه وأخرجوا أحشاءه ..، وكان البرسيم فى معدته يبكى ،.. فتشوا عنى فى كل البيوت عند الجيران والأقارب حتى حملونى فوق كتف أخى الأكبر من بيت عمتى لبيتنا كى أشاركهم فى أكل (سعد) وأنا أتقيا وأجرى ، ثلاثة أعوام كلما اشتممت رائحة اللحوم أتقيا وأسرع ، وفى الذكرى الثالثة لرحيل (سعد) وفى العيد الرابع أمسكوا بى عنوة ، وحملونى من بيت عمتى لبيتنا وأسلمونى لجدتى .

أسرعت وأمسكت بيدى وغمستها بشدة فى دماء (سعد) الممتزجة بتراب حوش بيتنا القديم ثم البستنى فروة وظلت تطوف بى حجرات البيت واحدة تلو الأخرى وأبى خلفها يحمل إناء من الفخار تنبعث منه سحب البخور العتيق ، ما يقرب من الساعة يطوفان بى أرجاء البيت ويعيدان الكرة ، والشيخ كثيف اللحية فوق أريكة جدى الخشبية ويتلو أوراداً وأدعية ويمسك تارة رأسى ويهمس تارة فى أذنى بكلام لم أفهم حتى الآن معناه ، ثم أمرهم بأن يتركونى أنام وبعد أن أصحو سأطلب بإذن الله بنفسى .

وبالفعل فى صباح اليوم التالى استيقظت من النوم وأخذت أفتش عن

جدتى فى كل حجرات منزلنا القديم وأطلب منها بالحاح نصيبى من لحم (سعد) وأضحك ويبدأ الكل يضحك ، وجدتى تمد يدها فى القدر وتدعو لمولانا وتحملق فى وجهى وتضحك ومازلت أهضم وأضحك وما زالت الصغيرة (أسماء) تسألنى :

وتصرخ وأنا لا أستطيع الجواب ، ولا أجرؤ على قتل حبيبتى (أسماء).

....



قهوة بنكهة امرأة !!

إهداء: إلى البحر الذى أعيش فيه ، بين رماله وأشجار نخيله ومياهه فلا أغرق ولا أطفو

أعبث بأصابعى..أشبكها معاً..أحركها معاً..أحركها برتابة..وأسير وحدى..أردت لحظات أسرقها من هذا الضجيج كى أكون وحيداً..أعانق خيالات محزنة وذكريات تتشبث بى فلا تبرح ذاكرتى أبداً. كنت أنساب بخطوات تتماشى وإيقاع البحر الممدد جانبى..أضئ دمعاتى فيه أعمد روحى به..لكن البحر بعيداً يعتنق كآبة وحزناً غريبين..رحت أتلمس فى وجوه الذين حولى سبب حزن البحر..أتوقف براحلتى فوق تقاسيم وجوههم..هؤلاء يرقصون تحت شجرة نخيل مفضلة أوراقها بدمع البحر ، وأطفال يكركرون فرحاً كلما زلزل الموج قصوراً قد بنوها فوق الرمل الناعم..وتلك..ما تلك–فتاة – امرأة وماذا ترتدى؟..أحقاً ترتدى شيئاً؟ تسير بغنج وتؤدة تلاحقها الأعين–نظرات تأكلها..إعجاب–رغبة و..وهى تخترق أزواج العيون..تمشى بمهل تلاحقها الكلمات الرخيصة فتبتسم بوقاحة لابل ببلاهة . وهناك ثمة شئ فى جانب الشاطئ..شئ كبير–كبير جداً..تفرست بملامحه الغامضة ماهو.. نورس أبيض كبير–أم ملك من ملوك البحر..مرت اللعوب من أمامه متعمدة.. تحاول إجتذاب نظراته..لكنه ظل جالساً ماتحرك وعيناه غارقتان بكتاب يقرأه..كتاب..تهاوى إلى مسامعى صوت ناعم يهمس فى أذنى بدفء يطغى وشوشات يناير الباردة..وشردت مع ذلك الصوت الدافئ..آه إنها

فيروز..إنه صوت فيروز ينبعث من مكان قريب يختلط بصوت أغنية راقصة لكنه ظل واضحاً قوياً دافئاً..فأذوب مع كلماتها..أتوحد مع كلماتها..أصبح لحناً..مقطعاً من أغنية..تحركت عيناى بحركة لا إرادية إلى تلك الزاوية المهيبة إلى حيث يؤدى النورس الأبيض صلاته..إلى حيث يجلس ذلك الشاب الصامت..وبحثت بنظراتى عن تلك اللعوب..لابد أنها تلهو بعيداً بعدما يئست من هذا الصامت ولوبنظرة .. كانت وسط البحر تركض..تسبح ..تضحك .. كانت أصداء ضحكها الأجوف ترتد على أمواج البحر..تستبيح لنفسها عذرية مياه البحر..والمياه تهدر تموج تعلن ثوراتها..رفضها..لكنها مازالت هناك فى قلب خنجراً ينغرس بأعماقه والأيادى المتعطشة للرغبة تتقاذف جسدها من تحت الماء..تملكنى شعوراً بالأشمئزاز..وعدت بنظراتى إليه كان كان مازال يقرأ..لو أعرف ماذا يقرأ ؟ !!

أتعمد أن أسير من أمامه..أقترف جلبة كى ينظر إلىّ..لكنه لم يرفع رأسه ولم يتطلع أبداً..جلست فى مكان قريب منه لم يكن بينى وبينه إلا مسافة قصيرة..بل مسافة طويلة..طويلة جداً..مساحات شاسعة من مشاعر كثيرة.. أشياء كثيرة وحزن كثير..كان يقرأ لو أعرف ماالذى يقرأه؟!!..لو أطفئ فضولى قليلاً..اقتربت بنظراتى من الكتاب..لاشئ واضح..يساورنى شك بأنه لم يكن يقرأ بالكتاب بل صفحات هى من كانت تقرأه!! تقرأ عينيه..أحاول أن أشغل نفسى..أدندن مع أغنيه فيروز التى تخترقنى..تسافر إلى دواخلى.." قديش كان فى ناس على المفرق تنطر ناس وتشتى الدنيا ويشبه شمسية وأنا بأيام الصحو ما

حدا نطرنـى " كنـت منهمكـاً جداً..مشـغولاً جداً..لكننـى أحسسـت بشـئ يخترقنى..بشئ يحرقنى..رفعت رأسى فكانت هناك عيونها تحدق بىّ.. عيـون تطفـح بموسـيقى دافقـة تتنـاغم وصلـوات فـيروز..كـانت هـى الصامتة..هل تراقبنى منذ مدة؟..وهل كـان صوتـى عاليـاً وأنـا أغنـى؟ كانت ماتزال تنظر إلـ ّ تحدق بىَّ..عيناها قويتـان..تنشـران مـوسيقى هادئة وملامحها السمراء تتشرب حزناً عميقـا..نظرت إليها وإبتسمت كانت إبتسامتى واسعة صادقة..ومشجعة..لكنها ظلت محدقة بىَّ تصلبت نظراتها..وتمجدت تعابير وجهها..فلم أستطع فك لغز نظراتها وإنكمشت على نفسى.فخفضت بصرى أحدق فى الحفـرة التـى أحدثتهـا فـى الرمـل الناعم. لم أدرِكم مر من الوقت؟!! كم مضى ؟!! وأنا أحدق فـى اللاشـئ كل ما أذكره حينها..أننى حين رفعت رأسى لم تكن عيـون هنـاك تحـدق بىَّ ولاعيون تغرق فى كتاب ولافيروز..حتى لتغنى.

****



الشقاء فوق العادى !!

جاءتنى متسللة عبر زجاج النافذه المكسورة .. باردة جداً ومنتفضة ، ترسل إلىَّ بأطرافها فاشيح بوجهى عنها .. تتدلل تحيط بى ، صفعنى صوتها .. - ممن تهرب ؟
ولا أستطيع .. - لن تفر .. لن تفر .. تردد الصوت فى جنبات المكان بينما جذبت جسدى إلى زاوية من الحجرة .. أقبلها وهى تزهو بملامحها البشعة ، وإحتلالها لكل مساحة من الفراغ ، أغرقت الرأس فى هوة مظلمة بين ذراعى .. أطل منها الحلم شاحباً : - تحبنى ؟ .. هل ستبقى كثيراً هكذا ؟ قلها (تضاحكنا .. وساد صمت لفترة) . محوطاً بالجدران المرهقة .. كادت تهزمنى .. قاومتها أفلتت ، نهضت محاولاً الخروج .. منعتنى محاولا الخروج .. منعتنى تجمعت من النافذة ، والشقوق .. مما بين الحائط والباب .. عظامى نفذت إلى أعماقى .. سرت فى شريان الدم .. إندفعت معه إلى حيث الحلم ينسحب .. يجر خلفه مرارة الواقع .

- سنتقابل غداً .. أليس كذلك ؟ قالتها فى قلق .. وبمثله نطقت :
- آهٍ - مابك ؟ - لاشئ - تكذب - لاتشغلى بالك - صارحنى - فقط ....(سئمت) .

ارتسمت على وجهها خطوط الدهشة اتسعت عيناها : منى ؟ مضغت إبتسامة يأس .. هززت رأسى يميناً ويساراً . فى تودد رجتنى :
- ابق قليلاً . أردت أن أفعل .. طاردنى شبح الهزيمة .. انتزعنى

منها .. ابتعدت ، نادت : سأنتظرك .. غصت فى بحر الرؤوس والأحجار ، والحديد ، انحدرت على ذات الطريق العفن .. هبط الدرج الهارب من الضوء .. دفعت الباب .. داعبتنى أشعة خافتة .. متكوماً فى ركن الحجرة الرطب .. حين توغل الليل هاجمتنى مرة أخرى .. باردة جداً .. حاولت تثبيت أوراق (الكارتون) التى سقطت .. فى فراغ الزجاج المهشم - لم يمنعها ذلك : (صبية الحى الملاعين لايتركون شيئاً فى مكانه) .. (سأريهم) .. مرتجفاً سحبت كل الأغطية .. سددت بها كل الثقوب والفتحات : (لن أدعها تفعل ما تريد هذه المرة) بقى جزء من النافذة دون غطاء .. خلعت الجلباب .. قذفته به .. نامت ناوشتها .. نفثت زفيراً ساخناً فى قبضة يدى المضمومتين على فمى .. اغتاظت .. ضحكت .. احتدت ثورتها انفجرت ضاحكاً ، ومع الدفء الذى بدأ يملؤنى أحسستها ترحل .. من ثقب الباب فوق السرير .. هادئاً قبلت الصورة التى تركتها حبيبتى حين تقابلنا منذ سنوات مضت .. ودعتها فى نشوة المنتصر أطحت بها بعيداً .. وكدت أن أبكى .

****



فيضا يكون العشق !!

إهــداء: إليها قطرات من زهرات الحب الصافى .. المتدفق بعشق أبدى

كـانت برعمـة تداعبهـا النسـائم وتدللهـا العصـافير .. تغمـض عينيها بخجل كلما لاحت لها عيون النجوم التـى تراقبهـا وهـى تكبر .. تبدى إعجابها بأريجها الذى يزداد روعة .. تضـم عبيرهـا بين حناياها لئلا يبعثره النسيم .. خبأت ألوانهـا الزاهيـة عن عيـون النجـوم .. بـدأ يشتد عودها فى بستانها الجيمل .. بات كل من فى البسـتان يـأنس إلـى الـوردة النضرة ذات الأوراق الغضـة المتـوردة .. بـات لطـف أنفاسـها يجذب من حولها حتى أصبحت مصـدراً للبهجـة التـى لاتكمـل إلا بهـا .. أما صاحب البستان فقد آثرها على جميع أزهاره .. وغدت الأقـرب إلـى روحه ونفسه .. قد إرتاحت لصفاء السماء .. وسـعدت بقطـرات النـدى التى تنثره ساعاته الأخيرة فتنعشها .. فى إحدى الليـالى لاح لهـا القمـر أصغى من السماء .. لامسـتها أشـعته الرقيقـة .. رأت فيـه شـيئاً .. لـم تكن تراه فى النجوم .. كان مختلفاً تماماً .. متمـيزاً تمامـاً .. هكـذا بـدا لها .. كان شيئاً لم تستطع أن تتجاهله .. رغمـا عنهـا انجذبـت إليــه.. بريقه الهادئ أعجبها .. ليلة بعد ليلـة بـدأت تأسرها أشـعته .. إنسـاب نوره فى شرايينها .. غزى جذورها .. لـم تتمكـن مـن الإفـلات .. بكـت كثيراً .. سمعها ومسح بحنان دموعها .. همس لها : " عبيرك انتزعنى مـن سمـائى هتـك الغيـوم التـى حجبتنـى عنـك .. فجئـت أرويـك بدفئـى وأفرش لك قلبى وسادة فضية لترتاحى إليها ولتعلمى أننى أحبك

.. لم تصدق الوردة ماسمعت .. رفعت رأسها إليه .. فإذا به ترى أحلامها منقوشة على صفحته .. وثقت به ووهبته عبيرها .. أهدته ألوانها البديعة .. منحته حتى أنفاسها .. أحبته أسمى مايكون الحب .. عشقت فيه حنانه الذى ينسيها قسوة الزمان .. عشقت فيه لهفته كلما إحتاجت إليه .. عشقت صدقه وثقته بها وبنفسه .. عشقته باسماً يداوى جراحها .. عشقته بكل ما فيه .. وأحبته كما هو .. وغدى عالمهـــا الوحيد الذى لا يمكنها العيش دونه .. غاب القمر لم يعد شئ يضئ عالمها بغيابه .. بكت شوقاً إليه .. حسب من حولها أن دموعها قطرات من الندى زادتها جمالاً .. هتفت تناديه .. لكن صوتها لم يصل إليه أبداً .. أخذت تنادى طيفه لكن مواويلها تكسرت جميعاً تحت أقدام القدر .. أخذت ترنو بصمت إلى السماء فتصفعها الغيوم الشرسة كل ليلة .. لقد غزى الشتاء سمائها فى غير موعده .. راحت رياحه تلهو بأيامها .. وتعبث بأحلامها .. وتخرج حتى أنفاسها .. فى إحدى الليالى أقام الشتاء حفلة عزفت فيها الرعود وقصف البرق بكثير من شرارته .. سخروا من دمائها لم يعبأوا بها وهى تنحنى على الأرض بوهن شديد وتحرك أوراقها الدامية بطريقة غريبة .. خُيل للشتاء أنها تخط بدمها شيئاً ما على التراب .. فسحقها فى الحال .. وبعد زمن رحب الشتاء وأطل الربيع بشمسه ودفئه إكتست الأرض خضرة ووروداً .. وتنفست السماء النور ثم إرتدى المساء صفاءه وأتى حاملاً سلة الندى ليرش الزهور .. تسللت النجوم الشقية تختلس النظرات .. بحثت عن وردتها الأثيرة .. لم تجد

منها سوى وريقة ممزقة وكلمات على التراب تقول : " قمرى الغالى

لم يتسع عمرى ليشهد لحظة عودتك ، وعندها لاتنتظرنى

لأنى لم أعود .

****



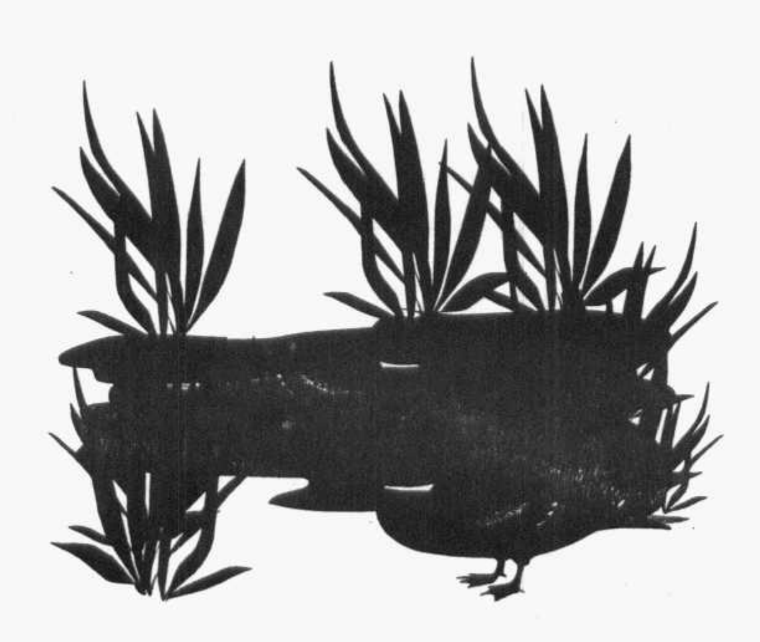
رمــاد المـــاء !!

إهــداء: إلى من كانت بحارا من الحب والحنان والحدب (شيماء)

نظر إليَّ صديقى عندما حدثته عنكِ بشفقة شديدة وقال : هذا جنون ... إنسها الأول ... بحثت كثيراً .. بحثت من كل قلبى .. ليس لأن النسيان إحساس .. بل لأنى أقتحم أسوار الجنون بإرادتى .. أحياناً أتساءل سؤالاً سخيفاً لماذا تقف الحافلات ؟ .. كم أتمنى ألا تصل هذه الحافلة .. ألا تقف .. لأنها ببساطة تأخذنى من نافذتى الملونة الجميلة .. تأخذنى من ذكرياتى إذا وقفت الحافلة علىَّ أن أحمل حقيبتى المعلقة على طرف المقعد .. وأتصنع ترتيب هندامى المبعثر من الاسترخاء لساعة كاملة .. وأنزل من الحافلة لأدخل مستنقعاً موبوءاً بالأمراض .. تفوح منه رائحة كريهة .. ودخلت وبدأت أسير على يدى .. دخلت .. الفصل وقف الطلاب والطالبات على أيديهم وأرجلهم معلقة فى الهواء ..جاءت المديرة العجوز تمشى على يديها وتضع نظارتها مقلوبة ..إننى أنتظر كل يوم انتهاء الدوام بفارغ الصبر..فقد تجرحتْ يداى – ثلاثة أعوام وأنا أسير عليها .. وتعود الحافلة وتعود النافذة وتنساب صور غير صور وحكايا متعبة أرهقها رائحة الأسفلت الملتهبة وحرارة شمس يوليو..وتبتسم صورتها..تبتسم ببراءة مصطنعة .. تخفض عينيها حياء كاذباً ..عندما تتحدث إليك وأنا أحترق مع زاويتى السوداء ..تنسج لك ملايين الأكاذيب وأنت تصدقها بطيبة وارتفاع ..بل دعنى أقول بسذاجة وغباء وكنت أتألم .. أتألم من

أجلك .. ومن أجلى .. أبتلع مرارة فى حلقى .. بصورة قاتمة .
ولأول مرة ولآخر مرة أتمنى أن تقف الحافلة .. ووقفت الحافلـة أخـيراً وانتهت رحلة ثلاثة أعوام طويلة .. تجمدت النافذة الصغـيرة .. لـم تعد ترسل الصور والحكايا والذكريات .
ابتسمت ابتسامة صغيرة .. شعرت أن كل شئ قد انتهى الألم .. التعب .. حتى الذكريات غداً سأسير حافى القدمين عند شاطئ النخيل أشم رائحة الياسمين وأجلس على العشب الأخضر وأنتظر حلماً رقيقاً كندى الفجر وأنتظر أعواماً جديدة ستأتى وتبلسم الجراح وتغرس على شفتىَّ ابتسامة حلوة .

....



وجــه آخــر للبــؤس !!

إحساس ما يجعلك تعتقد أنه لسبب ما غامض بعض الشئ سيكون هذا اليوم أشد بؤساً ، وأنت تبدأ يومك يتملكك هذا الشعور والذى رغم كل شئ كان له سطوة كبيرة عليك. أنت تتناول أوراقك وحقيبتك لتغادر ليس مهما لماذا تغادر..لكن عليك ذلك. وهكذا تتأمل وجهك فى المرآة عند الباب قبل خروجك .. العيون نفسها التى تنظر بشكل غريب تمتلئ بألوف من الأشياء وتتوقف عند شئ واحد لماذا تنظر هكذا ؟ حيث ليس مهماً أن تنظر تتودع بشكل مدهش فى الوجه وحتى الأنف غدى مألوفاً جداً لكن دون جدوى تتفحصه كلما نظرت هنا فى المرآة مازلت أن تتحسس جلدك تلمس رأسك.. يراودك شعور بالاشمئزاز وأنت تفكر أن الجميع يروك..تفتح الباب وتخرج ..شئ ما يجعلك تفكر إلى أين أنت ذاهب؟!! هل تعى أنت ذلك؟ هل أنت متأكد أنها الطريقة الصحيحة وكيف تخطئ..ليس مهماً إدراك كل شئ..إنها مسائل كيفية لقد تناولت فطورك. ليس مهماً تناوله لكن لم يكن هناك ثمة شئ يجعلك تفكر بكيفية الذهاب بدونه إلى العمل. أنت ذاهب إلى العمل إذن.. تلاحظ الجرائد على الرصيف المقابل..تقطع الشارع بكل ثقة ليس ثمة ما تحزن عليه لم يحدث شئ..تبدو متأكد من مرورك بسلام تفتح المحفظة هناك بعض المال..تأخذ ثمن الجريدة فقط أنت لم تتأكد إن كان هذا المال لك. ثمن الجريدة لم يترك الانتباه للنقص فى

المال تقف فى الموقف..لقد أصبح غريباً ومألوفاً..تتحسس ساق المظلة تنظر إلى السيارات التى تمر إنها مليئة بالناس ممن لا تعرفهم أنك تفكر بمسائل غريبة لو تستطيع أن ترافقهم إلى بيوتهم أو لو أنك تعرفهم جميعاً تبدو الفكرة مضحكة ..لكنها منطقية جداً لديك وجديدة . وتشعر باتساع متاهة علاقاتك لكن:.لكنه تفكيرك دوماً كان يتوقف عند من تعرفهم..تفتح الحقيبة هل الأمر مهم ترى الجريدة تتذكر لم عليك انتقاء الجريدة؟ وماذا ستقرأ فيها؟ هل الأمر يستحق أنك ترى أن العالم مثير لو عرفنا الأخبار أولاً..ماذا هناك أيضاً؟ تتقلب الأوراق وأنت تتحاشى سماع الكلمات من هذه وذاك أنت تتصنع كعادتك الهروب من النظرات هذه بطاقة اشتراك بالمكتبة العامة بالعريش تتذكر إن كنت زرتها..تفكر أنها ستفقد صلاحيتها هل استخدمتها بشكل جيد؟ تبدو عليها صورة من المنطقى جداً إنها لك أنها تشبهك أنها صادرة فى عام ٩٨ وهو هذا اليوم آه تتذكر أى يوم هذا لقد تأخرت لم يأت ذاك الأتوبيس الذى تنتظر آه لقد تذكرته اخيراً..هل أنت بخير؟ شئ ما يجعلك تشعر بفراغ قاتل .. يجعلك تنكر علاقتك بالأشياء تراودك الأسئلة..هل عليك أن تستيقظ؟ هل عليك أن تأكل ؟ هل عليك أن تخرج للعمل ؟ أنت مستعد الآن وللحظة أن تهرب مما يرادوك لكنك تشعر برغبة بالبقاء هكذا مستكن إلى أن تتحرك..ها هو الأتوبيس يوقظ دهشتك واستسلامك ها أنت تصعد..تضع حقيبتك فى المقعد المجاور إنه فارغ تنظر إلى رجليك انهما متصلتان بجسمك لكن شعورك بهما يتضاءل..أنت تفكر ما الذى يجعلك متأكداً انهما

رجلاك ما الذى يجعلهما تملكان الأهمية وأنت فقدت للحظة الإحساس بهما..شعور رهيب تأكد به شعور سائد تتساءل لماذا لاتنزل فى أى مكان ؟ .

هل من الضرورى أن تنزل هنا .. ولكنك تنزل .. هل نزلت فى الموقف الصحيح .؟؟

****



ضمـــير موظــــف !!

إهـداء: إلى أغلى من فى حياتى (إسلام) ، (أحمد) شمعتان تضيئان لى فى ظلام عمرى .

قهقهات المنافسين الشاهقة تضج فى رأسه صاخبـة مجلجلـة كأنه صنوج تُقرعُ فوق جمجمته .
وشكاوى العمـلاء المتتابعـة المتنامية كالمتوالية الهندسية تسبب لـه صداعاً نصفياً حيناً وصداعاً كلياً أحياناً .
أما تذمر نائبه ومساعده مـن بـلادة حس الموظفين وبطء إستجابتهم وتدنى منسوب أحلامهم إلى ما دون سطح المعيار المقبول .
كل أولئك يُحسها إبراً تنخز جهازه العصبى الهش . فترفع مـن درجـة توتره إلى مرحلة متقدمة من الإرتعاد والإرتجاف . أخيراً قرر أن يحسم الأمر فدعى كل موظفين مؤسسته من شتى فروعها إلى إجتماع وصفـه بأنه مهم وعاجل وطارىء ، ولما توافد الموظفين إلى قاعة الإجتماع لم يتخلف منهم أحد .. خرج إليهم .. إتخذ موقعه خلف منصتـه .. تفـرس بهم أجال النظر فيهم ملياً .. حتى حسب كل واحد منهـم أنـه المقصود بموضوع الإجتماع .. وبعد برهة .. افتعل سعلة ثم تنحنح ثم كشر ثم زمجـر قائلاً : " أيهـا الموظفـون إنما جمعتكم لأسألكم سؤالاً واحداً فقط .
لماذا لا ألمس لدى أىّ منكم ولاءً لهذه المؤسسـة التـى تختلسـون منها وترتشون ؟
حلقت غيمة الصمت فوق رؤوس المجتمعين وعلا الوجوم صفحة

الوجوه ومضت لحظات مشوبة بالرهبة إنبرى بعدها من بين الجموع موظف صغير نحيل تربعت فوق قسمات وجهه براءة لها لون براءة الأطفال راح يتقدم نحو المنصة بخطى وئيدة مترددة ثم توقف كأنه خروف مذعور وقال بصوت متهدج متكسر وقد بدا أنه لم يفهم لهجة الإستنكار فى سؤال المدير .

– سيدى المدير ليس للموظفين ولاء لهذه المؤسسة .. لأنه ليس لهذه المؤسسة ولاء لموظفيها .. سيدى المدير .. الولاء خط مستقيم لا يسير إلا فى إتجاهين معاً ، وليس لأحد أن ينظر إليه من إتجاه واحد .. وبرد فعل عفوى غير محسوب النتائج إنطلق الحضور يصفقون تصفيقاً مدوياً ممتداً . بهت المدير ووجم أحس بأن الأيدى التى صفقت قد إنهالت صفعاً على وجهه وخالجه شعور يعتريه لأول مرة بأن دوى التصفيق كان صدى لصوت الحقيقة التى ينكرها .. فتمتم بكلمات لم يفهما أحد .. وأدار ظهره ومضى .

قال الراوى : " فى اليوم التالى صدر قرار نقل الموظف النحيل إلى فرع المؤسسة فى القطب الجنوبى وما زال متجمداً هناك " .

****



زانـــــة !!

والدها يعمل فـى بلـد آخـر ليدخر شيئاً لبقـاء هذه الأرض .
دفاتر تجار الحى الخاصة بالديوان امتـلأت باسـم أسـرتها ، وهـى تقـوم
بكل شئ تنظف البيـت . تعمل فـى الحقـل .. تتعلـم فـى الثانويـة وتحب
وتنتظر بملء شوقها لحظـة سـيتحطم السد الزمنـى الـذى يفصلهـا عن
بزوغ فجر السنة القادمة التى ستأخذها إلـى المدينـة .. فتكمـل تعليمهـا
وتراه كل يوم .. حملت الفأس .. غرسته فى التراب .. ثمة شئ يحـول
بينها وبين قدرتها على تجميع قواهـا .. لكنهـا كـانت تحـس بالأمـان ..
وهى تمزج بينهما .. فحبيبها هو اللقمة التى ينتظرها أخواتهـا الصغـار
.. هكذا الحياة يا (زانة) ولابد فى النهايـة .. أن نصـل إلـى مـا نريـد ..
هو قال لها ذلك فـاقتنعت بتلـك الفكـرة ثـم طـردت اليـأس .. لـم تـدرِ لِمَ
سيطر عليها شئ نحو المدينة التى حلمت طويلا أن تسكنها ؟ ..
تذكرت كلامه حين تحدثا بهذا الأمر .. فى المدينة (يازانة) يكاد الإنسان
لايعرف نفسه .. إن حينا ألمن وبفارق كبير .. لم توافقه وقتها رأيه ..
ولكن الآن عندما نظرت إلى كفها ورأت بعض قطرات الـدم تتسـلل عبر
شقوقه أدركت تماماً معناه .. إبتسمت عيناها بفرح قاسمتها إيـاه حبـات
العرق التـى ولـدت فـى جبينهـا .. وكـبر حبهـا لأرضهـا ولـه فــى تلـك
الساعات الجميلة .. فصار الفأس يسرى فى أحشـاء أرضهـا برتابـة لـم
تعدها من قبل .. الطقس بدأ يحزن وكاد ينام وجه السماء .. كتلة كبيرة
من السحاب غطت القسم الذى تعمل به .. أحست

بالخوف كاد خوفها أن يتحول لبكاء لولا أن سمعت صوت أمها: " هيا يا(زانة) أحضرت لكى الغداء " وعلى بساط من عشب بدأت الصفرة تشق عباب خضرته تتناول غذاءها .. فتاة تعمل فى الحقل .. نظرت (زانة) إلى أمها خيل إليها أنها تلج داخل عينيها اللتين سرحتا تقلبان الحقل لتلقى شجرة لم يشب خضارها .. لم تعرف ما هى تلك الشجرة لكنها أنشدت بكل ما تحمل من فضول إليها .. فتدلت منها ثمرة غريبة وكبيرة لكنها مثيرة .. مدت يديها .. أرادت أن تقطفها فتسلل من خلفها سنجاب صغير يضحك .. أحست بالأمان لرؤيته .. إبتسمت له .. قفز السنجاب إلى كتفها .. شعرت بغباره الذى لامس خدها يضحكها .. قفز إلى الأرض نظر إليها وسار يثب متسلقاً الشجرة . عرفت أنه يريدها أن تتبعه ففعلت .. إختفت تلك الثمرة ولاح مكانها قصر كبير.
وقف السنجاب أمام بابه ونظر إليها وابتسم ثم دخل .. دخلت وراءه فرأت سنجاباً آخر يحمل فى يده قلباً أخضراً ، ويعلقه على الجدار الذى كاد أن يكون بياضه سحراً .. صوب السنجاب بيده .. لقد بدأت تفهم ما يريد أنه يطلب منها أن تمشى لوحدها وكأنما إنتهت مهمته .. أطلقت رجليها بنشوة .. فتح باب آخر .. رأت من خلفه ظلاً يشبه ظله يحمل فى يده قطرات الدم التى تسللت من كفيها قبل قليل .. ويناولها لأبيها المسافر ويده الثانية تحضن أخويها الصغيرين قالت بفرح إنتظارها : " إنه هو .. أرادت أن تركض إليه تحضنه وتقبله وتقول له " أنى أحبك "
لكن أمها أغمضت عينيها ، فتدحرجت على خدها دمعة

أحستها كالزجاج . هزت رأسها بحسرة .. تمنت لبرهة لو أن لأمها عينين كالبومة .. تناولت رغيفاً . قسمته قسمين وقالت : " يبدو أن المطر يقترب يا أمي " .. سنذهب إلى البيت " .

****



المـــد القـــادم !!

إهـــداء: إلى مــن أضحكنــى مــن الأعمــاق .. خفيــف الظــل والــروح الكــاتب والمخــرج التليفزيونى الأستاذ / أسعد الكاشف

ترتـــج الصور فى الذاكرة العجولة بالنسيان .. ترتطم بهـالات الفراغ .. فتصره وتنهـى بقشور الصدإ على بـابى الموصد .. وحافـة سريرى المجهـد ، والسـاعة التـى تحمـل الأيـام الهرمـة .. تسند قبرى بعقاربها منتبهاً كل ليلة .. وأنا تحتها أقع فوق سريرى .. أتعرق حمـى وأترقرق دمعاً وذكرى .

والصدى يجتـاح مدينتـى الآثمـة .. هـذه المدينـة التـى نفتنــى إليهــا .. أصابعهـا السوداء .. أنفاسـها العجـوز .. تواريخهــا الممسـوحة علــى الأرصفة المطروقة بخطى التـائهين التـائقين للمـوت ، ونخيلـك الشـامخ الذى يعرى الوشــاة مـن ضحكـات وتلويحـات .. أخرجوهـا مـن جيوبهم بعيداً عنها .. تمتد أصابعها .. تلوى أعناقاً حملـت وجوهـاً مأمولـة بغد أفضل.. وتحتوينى بقايا مدينتى المطلة

على البحر .. البحر الذى تجمع بداخلى صاخباً بصمت .. قد ينتظر المد القادم لكى يثور .. ولكن على الورق .

****

الحب الآخر !!

أعجبت لخطاكِ الممزقة وكاهلكِ المثقل وأفكاركِ المهترئة وشفتيك المضمومتين اللتين لاتنفرجان عن آهة أو كلمة تردين بها وتحطم عظام صدرك فى انحداث كل شئ .. تخدشينني بنظرة هادئة وديعة فأحس بقشعريرة تسرى إلى رقبتى وبقبضة باردة تضغط على بقوة .. لن يزعجنى ذلك بل أشفقت عليكِ لأنكِ اجتزتِ سؤالاً يدور فى رأسكِ المتخم بعلامات الاستفهام يرسلك إلى محطتين .. كنتِ تستشعرين الدفء منها وتبحثين عن وليد يعطر هواجسكِ المكتظة بعقلكِ الثرثار وارتميتِ على هذا العصب كى يزيل حيرتكِ .. تشاغلتُ باللعب عنكِ بالمظلمة المغلقة .. وكان صمتكِ يخيم علىَّ بدون أوتاد ، حتى لقد أخذنى هذا الصمت الرهيب فى هدأة الليل وسكون الأشجار العارية وحفيف الأوراق اليابسة لتكنسها على مهل ريح عجوز .. حينما رفعتُ عينى وارتطمت بعينيكِ ، توجل لهذه الابتسامة التى تتسع وتتسع لتنفجر ضحكة هستيرية مدوية تكسر فيها صوت الليل وتبث الرعب فى أنحاء جسدى فارتجفت وما أن تطرق عيناكِ بحزن يطلق فيها لنظراتك حتى تثبت الرجفة وتصرخ النبضة فى صدرى .. حين تحفر الدموع خديك بسخونة وتختلط مع أمطار تشرين الباردة .. تحاول الابتسامة لتوهمنى بأن الخطوط الطويلة التى انزلقت على وجنتيك ما هى إلا أمطار لا تدرك .. ما اضعف حيلتك .. فحين دنوتُ منكِ .. التهبت أصابعى .. إذ لامست انهمار الدمع كركام من هاتين

العينين ويتضارب مع حبات المطر برودة تعكس صورة أحياء لى .. بما ثبت عليكِ .. أوهمتكِ بما أوهمتنى به .. ومضيتُ اتتبع حركاتكِ وسكناتكِ .. فطفرت من عينى تساؤلات مبعثرة لم تجيبى على أىٍّ منها .. بل أشحتِ بوجهكِ عنى ، كى لا تتخبط الأسئلة وتضيع الأجوبة فى سواد شعرك المبتل وانحناء ظهرك باتجاهى .. لم أفهم .. لم أفهم ماذا يدور بخلدكِ ؟ أو حتى وجومك الذى لم تتمكنى من إبقائه سراً فى صدركِ .. لم اشعر بيدى حين لوحت لكِ من بعيد ، وجدتكِ تصغرى وتصغرى حتى اصبحتِ نقطة سوداء فبيضاء فلا شئ .

أجدنى وحيداً على الكرسى المبلل أضم مظلتكِ التى تركتيها ومضيتِ لاهثةً وراء حزنٍ دفين لا اعلمها كلها .. تمنيتُ دائماً أن تديرى قرص الهاتف . تضربين معى موعداً فى وقتٍ كهذا .. مطر مسائى .. وصديق يجاذبنى أطراف حديث رطب .

وحين فعلتِ لم أصدق .. جاءنى صوتكِ عبر أسلاك الهاتف ولم تقلْ سوى كلمتين " أنا أنتظركَ " قفزتُ من سريرى حتى ارتفعتَ عن سطح الأرض وكدت ألامس سقف غرفتى وشعرتُ بالغثيان إثر نوبة قئ انتابتنى لتسلسل الأحلام فى رأسى التى اقتادتنى إلى عالمٍ غريب من نسج الخيال المتمادى ، والذى دائماً ما يجرجرنى إلى متاهات ممتدة

****

رائحـــة الغربـــة !!

كـــان لقاؤه مـع كريستبن مفتعلاً جافاً كجفـاف الصحـراء .. الوحدة فظيعة .. اتجه نحو فراشه ليس كدفء فراشه في - العريش - .. اغمض عينيه .. أراد أن يستحضر لـم يستطع .. حدق فـى السـقف وتشـابكت فـى ذهنـه الصـور والوجـوه .. تذكـر سـقف غرفتـه فـى - العريش - .. كان رطباً متآكلاً .. كم كان يكرهه .. ومن أين يأتيـه كل هذا الشوق أيتسع صدره ؟ تقلب مرات .. تنهد بحرقـةٍ .. رفـع الغطاء عن جسده وأخذ يزرع الغرفة .. مازالت تلك الثغرة التى تفصلـه عن (كريستبن) تمعن فـى الاتسـاع .. النسـاء هنـا مختلفـات .. مـن قـال أن النساء كلهن متشابهات ؟ ما يراه هنا كائنات مختلفات تماماً .. الثانيـة عشرةَ والربع ما باله لايستطيع النوم .. فيما مضى كان يغفو سريعاً .. بمجرد أن يلامس جسده فراش نومه الإسفنجي العتيق .. لم يكن ينتظر مسلسل السهرة .. لايذكر أنه شاهده مرة .. كان يرجع إلى بيتـه متعباً منهكاً .. بعد يوم عمل شاق .. لم يكـن يستسيغ تلـك المشـقة .. كـانت عصية على شبابه المتحفز .. وسرعان ما جاءه البديل .. هاجر مع من هاجر .. الثانية بعد منتصف الليل .. حالة من الجنون تكاد تعصر بعقلـه .. رغبة بكاء مجنونة تعربد فى أعماقه .. خوف .. حيرة .. نكـران .. ومشاعر متعارضة تصطنـع فـى نفسـه .. (كريسـتبن) لـم تعد بعد .. النسـاء هنـا غريبـات الاطـوار .. يمقتهـن .. يحلـم ببيت دافئ وزوجـة تشاطره مر الحياة وحلوها .. بمداعبة طفل تزركش أيامه ..

لكن (كريستين) بعيدة كأرض - العريش - .. وحلمه وردة أرجوانية تساقطت بتلالها وتبعثرت رائحتها .. الخامسة صباحا عقارب ساعة الحائط تلسع الخامسة .. و(كريستين) لم تعد بعد .. يعاوده رجع كلماتها .. تزوجتنى لتحصل على الجنسية .. لاتتدخل فى شئونى الخاصة .. تكات عقرب الثوانى تتابع برتابة " تك .. تك .. تك " .. يكاد رأسه ينفجر .. والدقائق مشحونة ..

(كريستين) لم تعد بعد .. العقارب الحمقاء تواصل سيرها غير عابئة .. أين تكون ؟ تساءل بحيرة .. رغم الثغرة التى تفصل بيننا إلا أننى أبقى الزوج .

أطرق سيكون لى معها شأن آخر .. عندما تعود سأجعلها تعيش كما أريد لا كما تريد . السابعة صباحا .. الدقائق تسير حثيثة .. ومازال هو يذرع الغرفة .. يطل من النافذة تارة ويتذكر وجه أمه تارة أخرى .. يشرب قهوة الصباح .. يطالع الصحف ويدير المذياع وينتظر عودة (كريستين) .

****

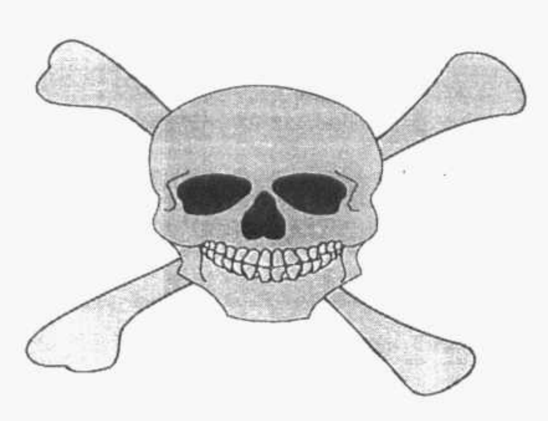


للموت أبعاد أخرى !!

ضرب قضبان الحديد برأسه .. كانت الغرفة صغيرة ذات سطح رطب تغطى جدرانها بيوت العنكبوت .. كانت قذرة وشديدة الظلمة .. ألقى بجسده المنهك فوق أرضية الغرفة .. شيء ما يدور فى كيانه .. الصمت كئيب والوحدة تكاد تقتله تنساب فى شرايينه وأوردته .. سأعلن للكون أننى بطل .. لقد قتلتها .. لقد أسقط دمها على وجه التراب .. لقد مزقتها إرباً إرباً .. نعم .. سأعلن للكون .. أننى بطل .. لكن لماذا ؟ ما هذا المكان .. ليس هذا ما كنت أتمناه كان تفكيرى أن أقتلها وأجلس مكانها هناك فى قصر الأحلام .. الشريرة لقد كانت وغدة .. لقد سلبتنى حقوقى .. وجردتنى من أحلامى .. قاسية القلب .. لقد حطمت آمالى .. هذا المكان وهذا الصمت .. وهذا الجدار وهذا أنا فى الوسط .. لانفاذ .. لاهروب .. لاهواء .. ثمة نافذة صغيرة .. علقت فى سقف الزنزانة السوداء .. آهٍ لو أستطيع الوصول إليها .. سأحطمها .. سوف أخرج لأرى النور .. سوف أعيش .. أنا لم أقترف خطأ .. سوف أخرج خروج جنين من بطن أمه .. وتعالى الصراخ .. لكن دون جدوى .. أنا هنا بين القضبان .. أحاول الهرب .. سأقتل كل من يحاول الوقوف فى طريقى .. سأصعد .. سأقطع القضبان .. هاهو يحاول لقد ضربها عدة مرات .. يحاول قطعها .. لازال مستمراً .. الدم ينزف من يديه .. لازال مستمراً يا إلهى (دماء .. دموع .. ألم ..

سجن .. قضبان) .. لكن ثمة إرادة فى الأعماق .. هذه القضبان .. وهذا الدم .. وذاك هو .. لازال مستمراً الحياة بلا أمل .. الطيور دون أعشاش .. الأشجار بلا أزهار .. ثمة قبور فقط ، قبور تطل على الزنزانة السوداء .. آهٍ لابد أنها قبور من حاولوا الفرار قبلى .. مهما يكن أنا لن أستسلم .. سأقاوم .. ضرب مرة ومرة ومرة .. القضبان تتمزق بين يديه .. آهٍ لو نجحت .. سوف أخــــرج ، سوف أعيش .. صعد بجسده ينوى الخروج .. وقفز للأسفل .. وأخذ يعدو ويعدو .. تلك البندقية تلاحقه .. لايزال يركض .. الطريق طويل للباب الرئيسى .. وصل الباب .. البندقية تقترب .. إنطلقت رصاصة عمياء .. مزقت رأسه .. ثم غاصت فى أعضاء جسده .. وإنهار جسده هاوياً الأرض .. نظر للمكان .. لاشئ سوى القبور .. أدرك أنه إليها وغاب تحت رماد الأحزان .

••••••••••



حتى لا نحترف الأحزان !!

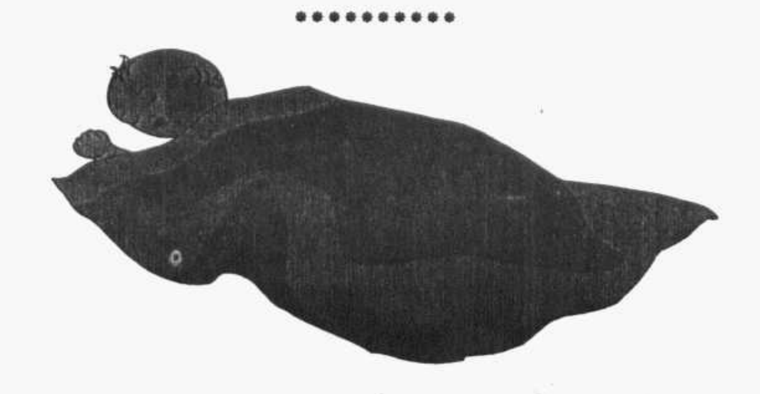
إهـداء: إلى أول من قدمت البحر الصافى إلى عيونى (سلوى)

أراد أن يحقق لذاته شـخصية ذات وجهين كمـا العملـة .. يتداول بها بين البشر فى كل مكان وبوجهين مختلفين .. أراد أن يعيد " سى السيد " يعيش بين كنف أولاده وكأنهم جوارى وعبيد بالنسبة له .. كلمته نافذة لاترد يأمر فيطاع دون نقاش أو اعـتراض .. تحت عباءته السوداء الكالحة . وفى ثنايا الأسرة المحكوم عليها الفناء والإنفجار فى أى فينة .

يتداول معهـا بلـون قـاتم العفوانيـة .. بأشـكال خارجـة عـن الطبيعـة والنواميس التى ألفناها .. يتعامل مع الجيران والنـاس بكل سؤدد وود وكرم حـاتمى .. وعلـى النقيض مـع المغضـوب عليهـم مـن أسـرته كالوحش الكاسر والفك المفترس .. قهقهت فـى سريرتى وبكيت فـى أعماقى وألم بى توجس مخيف عندما سمعت أنه أراد أن يعـاقب أبنـاءه فأدخلهم المرحاض وأغلق عليهم ليلة بنهارها قاطعا عنهم المدد والـزاد شعرت بأن حكم فرعون قد عاد كرته مرة أخرى .. أيضاً من شواذ ذلك الرجل غريـب الأطـوار وشـذر الأفكـار أنـه كـان ينـام . فيسـمع أصـوات الدجاج فجعلوه لاينام فى مضجعه .. قام وذبحهم جميعاً بـلا إستثناء .. تعجبت لوجود رجل يعيش فى هذا المكان بهذه الطريقة السيادية والتلذذ بعذاب أولاده وزوجته التى لاحول لها ولا قوة ، إذا نظرت إليها تقرأ كل الأحزان فى عينيها الصاغرة التى إنطفأ فيهما البريق .

القطرات المحرقة إنساب على خدى .. صور مأساوية ترددت داخل أعماقى .. ركضت إلى اللامكان .. وفى كل اتجهات طرق مسدودة .. جدران حديدية ، ومطر غزير .. نعم .. مطر انهمر وكأنه صديق ليشعر بمثل ما أشعر به من الحزن والغضب .. وضعت يدهـا علـى كتفى وهمست مبتسمة : " أنا طبيبة .. لربما استطعت أن أساعدك " حملقت فيها طويلاً .. وبحركة لا إرادية قبضت علـى يدها ورافقتها للمكـان .. إقتربت من السرير والهدوء يعم المكان .. رفعت الغطاء تحسست بيدها وجه الطفلة .. وبعينين ملؤهما الحزن والأسف .. نظرت نحوى نظرة عبرت عما أرادت قوله .. ولكنى لـم أنتظر رد . بحثت عن مهرب .. عن طريق الخلاص .. لم يكن هناك سوى قطـع من الأثـاث المتنـاثر .. وذلك السرير .. وآلاف الجدران تسد الطريق .. تدعونى للاقتراب منهـا . صرخت .. وضربتها بيدى .. ضربت وحفرت وقذفت بكل مـا أو تيت من قوة .. وقتها حل الظلام .

....



حتى لا نحترف الأحزان !!

إهـداء: إلى أول من قدمت البحر الصافى إلى عيونى (سلوى)

أراد أن يحقق لذاتـه شـخصية ذات وجهيـن كمـا العملـة .. يتداول بها بين البشر فى كل مكان وبوجهين مختلفين .. أراد أن يعيد " سى السيد " يعيش بين كنف أولاده وكأنهم جوارى وعبيد بالنسبة له .. كلمته نافذة لاترد يأمر فيطاع دون نقاش أو اعـتراض .. تحت عباءتـه السوداء الكالحة . وفى ثنايا الأسرة المحكوم عليها الفناء والإنفجار فـى أى فينة .

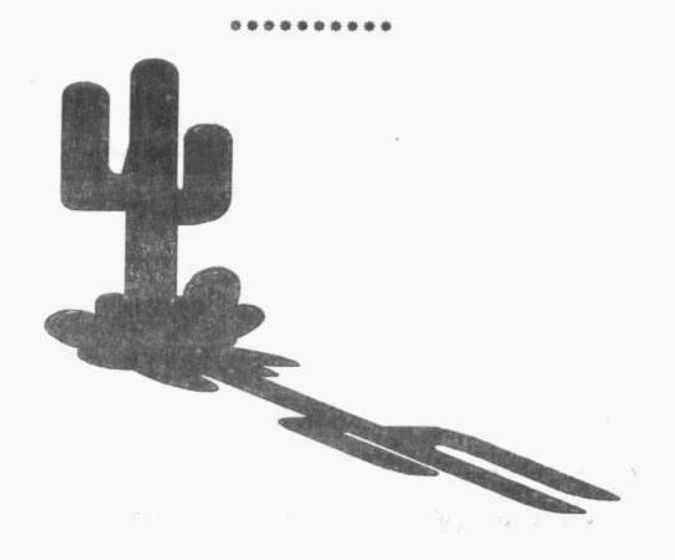
يتـداول معهـا بلـون قـاتم العفوانيـة .. بأشـكال خارجـة عـن الطبيعـة والنواميس التى ألفناها .. يتعامل مع الجيران والنـاس بكـل سؤدد وود وكـرم حـاتمى .. وعلـى النقيـض مـع المغضـوب عليهـم مـن أسـرته كالوحش الكاسر والفـك المفـترس .. قهقهت فـى سـريرتى وبكيت فـى أعماقى وألم بى توجس مخيف عندما سمعت أنـه أراد أن يعـاقب أبنـاءه فأدخلهم المرحاض وأغلق عليهم ليلة بنهارها قاطعا عنهم المدد والـزاد شعرت بأن حكم فرعون قد عاد كرته مرة أخرى .. أيضاً من شواذ ذلك الرجل غريـب الأطـوار وشـذر الأفكـار أنـه كـان ينـام . فيسـمع أصـوات الدجاج فجعلوه لاينام فى مضجعه .. قام وذبحهم جميعاً بـلا إستثناء .. تعجبت لوجود رجل يعيش فى هذا المكان بهذه الطريقة السيادية والتلذذ بعذاب أولاده وزوجته التى لاحول لها ولا قوة ، إذا نظرت إليها تقرأ كل الأحزان فى عينيها الصاغرة التى إنطفأ فيهما البريق .

حكمت عليها الأيام وكتب فـى لوح القدر أن تعيش تحت سقف واحد لايعرف الرحمة ولاتدخل قلبه الشفقة هكذا الأيام تـأخذ كثيراً ولا تعطى إلا قليلاً ، أما الأب فعندما تقدم لابنته (سلوان) تلك الإبنة التـى تمتـاز بدماثة الأخلاق وحسن الأدب وجمال المنظر وحلاوة الطلعـة ورقـة القد وغصن البان والتدين اللانهائى .. تقدم إليها شاب من عائلتها يقولـون عنه : توفرت فيه كل الصفات والمزايا الحميدة والطيبة .. لم يكن ثريا حتى يروق إلى أبيها فتلك المتطلبات لاتعنـى بالنسبـة لـه أى شئ لا تغنى ولا تسمن من جوع – وما زاد الطين بلة أن ابنه الذى كان يطيـع ابيه طاعة عمياء فى كل صغيرة وكبيرة .. ولِمَ لا ؟ ومن شابه أباه فما ظلم ومن جاور الحداد لم يسلم من ناره .. ذلك الذى تعلم القسوة والبطش والألفاظ الجارحة .. لقد تجرع الغلظة والعتل من أبيـه .. أصاب (سلوان) الألم . والسقم .. ألـم بهـا الحـزن العميـق ونمـا وترعرع داخلها كالجنين فى بطن أمه .. تحولت بقدرة قـادر إلـى هيكل شبه امرأة .. ألم بها مسا من الشيطان وركبها الجان .. (والعياذ باللـه) .. كانت تنام ووسادتها تشاركها الدمـوع .. لا تنقطـع علـى أيامهـا المبهمة التى جاءت فى ليل رهيب أسود .. قد طالت الليـالى بعواصفها ورمالها الصفراء الساخنة .. باتت (سلوان) كل من يرنو لهـا تقشعر لها الأبدان وتجعل الولدان شيباً .. وعندما شعر شقيقها بوقوع الكارثـة لأخته ظل جاهشـا فـى البكـاء .. أحس بـالندم علـى مـا تقدم من ذنبه وتأييده لأبيه والظلم الشديد الذى وقع علـى أختـه التـى لا ناقـة لهـا ولا جمل .. البريئة مما حدث لها كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب .. أما

أبيهم فبات متمسكاً برأيه متعنتاً بكلمته بأنه لا ذنب له فيما حدث لإبنتـه .. ترك الإبن خدمته بالجيش حيث أنه كان متطوعاً ولم لا ؟ فهو يعيش فى جحيم الحياة.. فأراد أن ينتقل من دائرة سجن زنزانـة أوسـع ربمـا تكون أرحم مما يراه .

مكث بجوار أسرته يرعاهم .. وكأنه يكفر عـن ذنـب إقترفـه :. فـاضت روح أختـه إلـى بارئـها .. غـادر الأب إلـى إحدى البـلاد العربيـة تاركـاً وراءه أسـرة شـقية لأحكـام القـدر .. إصطحـب معـه ابنتـه الصغـرى .. تزوج بامرأة أخرى .. أراد أن يعيش مأساة التلذذ والعذاب مـع أسرته الجديدة .. وصورة (سلوان) ومأساتها عالقة فى ذهنـى .. تكمـن فـى وجدانى .

....



معاناة بعد مكالمة تليفونية !!

إهـــداء: إلـى المخلصـة والوفيـة دومـا الإذاعيـة والمعدة المبدعة (وفاء القليبى)

تحركت الحافلة من بلدتى إلى مدينة الألـف مئذنـة .. تخترق وتقطع الطريق فائقة ، كل تصل فى أقرب وقت ممكن تسرق الزمن فى يوم واحد فحسب ، وقتها سنرى الأماكن السياحية والأثريـة فـى قـاهرة المعز .. بعد مضى خمس ساعات ممزوجة بالمعاناة والإرهاق الجسـدى والنفسى .. وصلنا – قرر المشرف على الرحلة أن نبدأ . بزيارة سـيدنا الحسين – تبركا فى قضاء وقت إيمانى ممتـع .. البعض إنصـرف إلـى التـنزه بالشـوارع العتيقـة بحـى الحسـين والبعـض الآخـر قبـع علـى الفيشاوى والآخر دلف إلى المسجد ليصلى ركعتين للـه .. لقد كنت .. واحدا مما سجد لله .. كان عقلى وذهنى شارداً بتلفنة صديقـى العزيزة وقضاء وقت ممتع معهـا .. كل جـزء مـن جسـدى يمنـى حالـة وينـادى لرؤيتهـا وجهـاً لوجـه .. حتـى وإن تحـرك وتطـاير مــن مكانـــه ولتكــن العواقـب مـا تكـن .. أسمـع صوتهـا العذب الرقـراق فـأتنعم بـه دون أن أراها بيد أنى أؤمن بالحكمـة القائلـة " الأذن تعشـق قبل العيـن أحيانـاً " شئ ما خفى يسحرنى ويجذبنى إليها بشكل كدت لا أقدر على كتمانه ولا إخفائه أكثر من ذلك . آثرت السير لوحدى فى حى الحسين العبـق بتـالد التـاريخ العظيم والجمـال الرائـع العتيـق الخـلاب .. أحـد أصدقـائى أراد السير معى ترددت فى الرد عليه لعله ينصرف عنى . ولكنه صار

معى مصراً ضارباً تجاهلى عرض الحائط .. أول شئ أردت أن أقوم بـه إتصالى بها ، كلما توجهنا لحانوت وجدنا العديد ممن يرغبون المهاتفة بشكل ملفت للنظر .. وجدنا حانوتاً لايوجد بـه إلا فتـاة " تتلفن " . انتظرنا قليلاً .. حتى فرغت من مكالمتها التى كان يبدو عليها القلق والاضطراب .. أدرت قرص الهاتف .. بعد الزنين ورداءة الخط التليفونى وتداخل الأصوات .. جاءنى صوت ، فيه الوقار .. كانت أم صديقتى ثم حولتنى إلى إبنتها الوحيدة .. من العجيب حقاً وغرابة الموقف أنها تقول : بأن صوتى غير واضح وبعيد بينما أتلفنها من مكان لا بعيد عنها بضعة كيلو مترات .. عندما أتحدث معها من منطقتى النائية يأتى صوتها وكأننى معها .. طلبت منها الحضور إلى المدينة الترفيهية لقضاء وقت ممتع سوياً .. لاسيما إننا لم نر بعضنا من قبل .. طلبت منى حضورى شخصياً لمصاحبتها .. وتحت الإلحاح والإصرار وجدت صاحبى متعاطفاً ومشفقاً على حالى أخذ منى سماعة الهاتف ورد عليها .. مؤكداً عليها عدم الحضور بحجة الوقت المحدد لنا فى التحرك .. فى هذه الفنية الغارق فيها صاحبى بالكلام مع صديقتى .. إذ بيد خفيفة تسحب محفظتى الكامنة فى جيبى الخلفى .. ففزعت تاركاً صاحبى وإنطلقت مهرولاً تنقلنى أقدامى من شارع إلى شارع خلف اللص وبصوت مدوى أردد : (حرامى .. حرامى ..إمسكوه حرامى .. كنت أتصبب عرقاً فى يوم كان ومختلطا بالرياح المتربة المتقلبة .. اعترضه بعض المارة وأصحاب المحلات التجارية وأدركه الناس .. فأخذوا منه المحفظة وطلبوا منى فحصها لربما

يكون قد عبث بأنامله وهو يعدو أخذاً ما بها .. بيدين مرتعشتين وأنفاس متلاحقة عبثت بها فوجدتها لم تنقص شئ فحمدت ربى .. البعض أصر وصمم على اصطحابه إلى مخفر الشرطة لكى يكون عبرة وعظة وينال عقابه .. البعض الآخر طلب السماح والمغفرة طالما لم يحدث لى أذى أو مكروه .. لكن اللص تملص بطريقة الأفلام الأمريكية المفبركة من بين يدى الناس وفر هاربا تركاً ساقية للرياح .. كنت فى لحظة ذهول .. ألجمتنى المفاجأة دارت بداخلى هواجس غريبة .. هزت كيانى من الأعماق وأفسدت أحلامى التى كنت قد خططت لها .. إذ لا يمكن رؤية صديقتى بهذه الحالة وسط عواصف الطبيعة والبشر

****



الجُـرح الخفـيُ !!

إهـداء: إلى الشاعر صادق الأحاسيس المتميز
(فؤاد حجاج)

-1-

وليكن للقتلة رماحهم وتحديهم وللخائنين خوفهم وندمهـم ،.. وللراحلين ذكرياتهم ،.. وللعائدين تحديهم ، وبطولاتهم .. ، وللعاشـقين خمرهم ، وسهرهم الطويـل ، ولـى ولـك أنـتِ فقـط زمـن الحـرب والثـأر بالكلمات .

-2-

أهل الملمات بعينيك تمر فـى دمـى .. توقـظ بضيائهـا الوهـاج روحى المعتمة .. فاتحة شبابيك العزيمة ، وأبواب البطولة .. ، وبانيـة تماثيل مهيبة لذاتينا العظيمين ..

-3-

مـــا يكـون هـذا الألـم الـذى يسـكن خـاطرى ؟ مـا تكـون هـذه الحرية التى تبعثر كلماتها فــى فضـاء سـجنى ؟ ومـن يكـون هـذا القـاتل الذى عاد وبحقد قديم قتل كل من يملأون زنزانتى ..

-4-

تسقط السماء صبيحة يوم لقائك مثقلة بـورود الكـون ونائمـة من شدة سكرها .. وتحيى من سلم الحرية لأصحابها .. ووهب التحـدى لشعبه ..

-5-

أنــتِ الكلمة فى فم السؤال .. وأنتِ حروف اللــه ظـاهرة يـوم القيامـة .. وأنـتِ أحلـى لدغـة بعقـرب روحـى المـرح ولأفعـى بطولتـى الهائمة ..

-6-

مَـنْ القاتل ومن المقتـول يـا سمراء حريتـى ؟ .. وسلاسلها ويا ثمن يجبئنى وشفاه قرمزية ويصفح عنى وأنـا الـذى ملكت اسلوب بـاعظم الذنـوب وأنـا الـذى اخـترقت جـدار معصيتـى ورسـمت كـل الطقوس ..

-7-

أقيمينى فأنا متداع .. مرمختـى الثـورات بدمعهـا .. أقيمينـى لأحج إليك وأدع عنك الذل وناهماً كالعصيان وشريداً كالكفر ..

-8-

هى ذى ساعتنا الأخيرة فتنكرى لكل جروحك . وأعبرى زيفـاً كان بيـن أتونـات روحـى المجنونـة .. يـذى أحلـى حكايـاتى وكلمـاتى .. تستجيل ربيعاً من الحيرة فيا أغلى عاشقة كانت مزقينى الآن أو ألقينـى ببحارك الصاخب.

****

امرأة مسكونة بالعشق !!

إهـداء: إلى الأديبة المتفردة ([illegible] السيد)

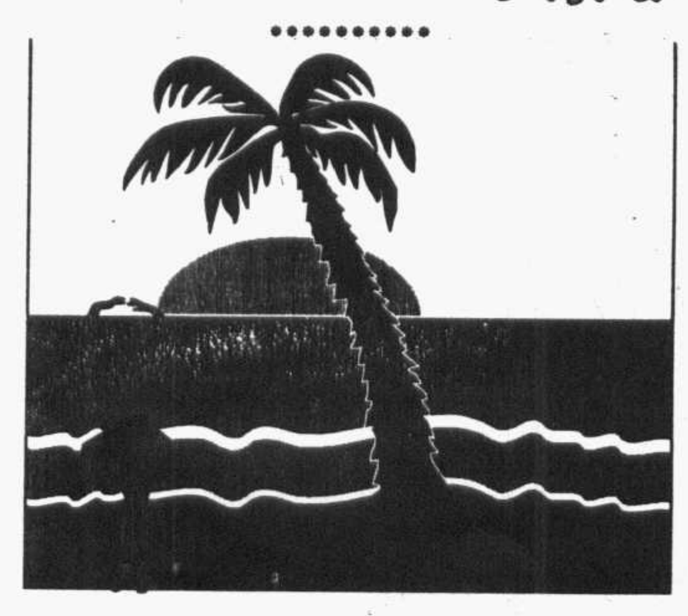
فى صفحة المرآة عرفت الاغتراب عند ذاتى وحرتُ فى نفسى وحارت فى حيرتى الكلمات .. وحدها المرآة تجردنى من ذاتى لذاتـى .. تنزع عنى خيالى .. تطرح عنى قناعى وتلقينى أمام نفسى بلا رداء .. وحدها المرآة تمحونـى وتعيد خلقى من جديد .. تحسرنى وتطلقنـى للبعيد .. تنثرنى لتجمعنـى وتعيد .. جعلت أتـأمل ذاتـى فـى سكون .. وحدها المرآة أكون فيها ولا أكون .. ذاتى أعماق بحر ما تبلغ بقطـرات المطر .. لم تدفئه أشعة الشمس ولم يضاحكه ضوء القمر .. ظل عميقاً بعيداً لا يبلغه البصر .. ظل أسيراً سجيناً يعانق الموت فيه القـدر .. أنـا وسـاكن المـرآة إثنـان متسـاويان متشـابهان .. فـى آن واحـد فـى نفس الزمان لكننا مع ذلك مختلفـان .. تأملتـه ملياً وخلقـه حدقنـى لكننـى مـا سمعت وحسبته سمعنى يا مَن هنـاك أين الفـرع ؟ وأين الأصل ؟ أين الجزء وأين الكـل ؟ .. رغم صمتك لا أمل أنـا كيـان وأنـت ظل .. أنـا حقيقة وأنت خيال .. فأين باق ؟ وأين فان ؟ .. فى داخلى من كـل شـئ إثنان .. ضعفى وقوتى يمتزجان .. طهرى ورجسى متصـلان .. ألمـى وراحتى لاينفصلان .. فنائى وبقائى متلازمان فأنا مزيـج اثنين فـى آن .. تقسمنى .. تبعثرنى تمزقنى مرآتى إلى أشلاء .. أنا فيها مزيـج مـن قوة وضعف من شجاعة وخوف .. أنـا فيهـا مركب مـن ذل وإبـاء مـن صيف وشتاء .. أنا فيها مكون من ألم وعزاء

من ضحك وبكاء .. أنا متناقض غريب .. أجمع بين طيات نفسى الرفق والتعذيب .. الخطأ والتأنيب .. دموعى فى الصفحة الملساء .. ليست آثار بكاء .. دموعى غلاف صمت وألم .. دموعى لحزن النفس ستار .. وبسمتى لفرح ولحن إنتصار وحيرتى لنور صدرى جدار وصمتى لعز النفس قرار .. أعين البشر مرآة واحدة .. نظرات البشر متهملة .. نلمح أنفسنا فى أعينهم ماثلة .. أنا لا أخجل أمام هؤلاء .. نظراتهم بالنسبة لى سواء .. لكننى أخجل من عينى فى الصفحة الملساء .. تدنو بعدها ورقاتى .. يتسللان إلى قراءة نفسى .. يعرضانى باطنى كظاهرى بلا كذب أو رياء .. ماذا لو خلا الكوم من صفحة ماء ومن مرآة ؟ ربما عرفنا أنفسنا .. ربما ما أبصرنا مساوئنا .. ربما كنا قانعين بما لدينا أكثر من الآن .. لكنها المرآة تكشف ما فينا تهمس أمانينا وتكلمنا بلا لسان .. هربت من الصفحة الملساء وهربت من نفسى وتساوت فى نظرى كل الأشياء .. لكنه ظل يتبعنى يلازمنى بلا كَلِ أو عناء .. كان ظلى دائماً معى .. ظل إنعكاس روحى إنقسام ذاتى .. ظلى رفيقى فى غفلتى وصحوتى .. فى حيرتى ولهفتى .. فى حزنى وفرحتى .. ظلى يعانق نورى وظلمتى داخلى وخارجى .. وظاهرى وباطنى .. هربت إلى البحر .. واتخذته أباً ورفيقاً ومحراباً وصديقاً .. فالبحر مثلى وجه ومرآة .. موت وحياة .. كان النهار يميل إلى الزوال .. والنور يحبو صامتاً خلف الجبال وأشجار النخيل الوارفة الظلال .. فتراءت أشعته الأخيرة باهتة ذابلة كما الظلال وانسكبت فوق البحر وغفت فوق الرمال فبدت

من بعيد مثل طيف أو خيال .. واحتضن البحر الشمس الشاحبة كزهرة ذابلة تعبت تئن بين يديه وتحتضر والكون يرقب فى ذهول وينتظر .. وتكدرت صفحة الماء وشحب وجه السماء وتراءت صفراء مخضبة بالدماء وحينها ولد المساء .. عشقتك أيها البحر .. وعشقت فيك ساعة الغروب .. حين تتحد بلجتك الشمس وحين توارى فيك .. واليك تأوب .. ليتنى ألتحم بموجك .. وفى أعماقك أفنى وأذوب لعل إذا ما التقت روحك روحى .. عانق حزنك حزنى .. وطوى سرك سرى .. وامتزج بقاؤك بفنائى .. ومحا طهرك من داخلى الإثم والذنوب .. أيها البحر الساكن الساجى .. أيها البحر المظلم الداجى .. فى أمواجك الهادئة الهادرة .. مرآة نفسى المتناقضة الصاخبة الصامتة .. الخاضعة الرافضة .. أنت مثلى نورك يعلو ظلمتك .. هدرك يعتلى صمتك .. صمتك يخشى عمقك .. جمالك يخفى قبحك .. أيها البحر الكائن من أزمان وعصور .. كم شقىٌ راح يندب حظة قرب الصخور .. .. وكم حالم شاد من رمالك القصور .. ولكنهم مضوا جميعهم وأنت باق وبعد أن فرقتهم الحياة جمعتهم القبور .. أيها البحر المقيم المسافر .. أيها البحر الصامت الثائر .. من جروحك ثارت الأمواج كلها .. كلها ترنو إلى السماء فوج فى اثره أفواج .. حاكت الأمواج حياتنا فى رحيل وإياب .. وحاك شوقها .. شوقنا للسحاب وتراءى موتنا شبيهاً بالمساء .. حين تعود صفحة البحر ملساء .. كل أمواجها سوداء .. أيها البحر الباقى حين يكسونا التراب .. فيك كالأرض حياة ماثلت حياة الغاب .. فالجانى فيك بطل ليس يرهبه العقاب ..

والضعيف كالزبد يطفو على السطح لكنه إلى ذهاب .. أيها البحر الجامد كحجر مثل الزهور نحن البشر نمارس في صخب وفتور لعبة الخفاء والظهور .. نأتي لنعود .. نظهر لنختفي .. نولد لنموت .. واالبحر مرآة السماء .. وفي لجة البحر تبدو الغيوم تائهة .. تمخر عباب الفضاء .. حدثتني أمواج البحر عن الغيوم وأخبرتني من تكون .. قالت : زفرة البحر المديد وعرق الموج في الحر الشديد .. وشوق البحر للأفق البعيد .. لكن مرآتي أبت وبي تجبرت وعليَّ استكبرت يا مرآتي فيكِ أقترب من نفسي وذاتي وأنأى عنهم في نفس الوقت .. أنت حديث السكون حولي ولسان الصمت .

••••••••••



لظـــى الارتقـــاب !!

إهـــداء: إلـى صديـق الكلمـة عاشـق سـيناء
الشاعر / عبدالقادر عيد عياد

كانت عقارب الساعة تقترب من العاشرة ليلاً وكان يتغلغل فى ثنايا المكان فيزيد من هدوء وسكون الساعات ، وكـانت عيناهـا ترقبـان الساعة ما بين الفينة والأخرى...عشرات المرات تجلس تـارة وتمشـى تارات أخرى..تجوب أرجـاء المنزل باحثـة عن شـئ يقضـى علـى هـذا الهدوء المشوب بقلق وخوف شديدين. والأفكار الغريبة بدأت تتوارد فى مخيلاتها أكثر فأكثر. وسؤال يحتل الجزء الأكبر مـن تفكيرهـا تـرى مـا الذى جعله يتأخر إلى هذا الحد؟ لابـد إنـهـا المواصـلات وأزمـة السير ، ولكن الوقت يمضى وأن من المفترض أن يكون هذا عند الثامنـة أو مـا ينيف قليلاً . كـانت الحيرة تعتصرهـا وتـزرع فـى نفسـها رهبـة تجتـاح كيانها وما زالت عقارب الساعة نداءاتها وتدور دون توقف أو تمهـل ، ومـا تـزال عيناهـا تحدقـان بكـل شـئ حولهـا..استوقفتها تلـك الصـورة القابعة فى صدر الحائط ، صورة جعلت البوم الذكريـات يفتـح صفحاتـه أمامها ، وينقلها إلـى تلـك اللحظـات الجميلـة بـل الرائعـة التـى صنعت أحلى لقاء الذكريات..تلك التفاصيل الدقيقة التى مر عليها ثـلاث سنوات والتى ما فارقت مخيلاتها أبداً .

حيث صنع لها القدر أجمـل لقـاء ، وكـانت بالصدفـة وكـانت منـه حيـاة طويلـة عمـراً وقصـيرة فـى جمالهـا وعذوبـة لحظاتهـا لـم تشـعر بمرورها..لقته صدفة فى إحدى المصالح الحكومية..وكان الخجل

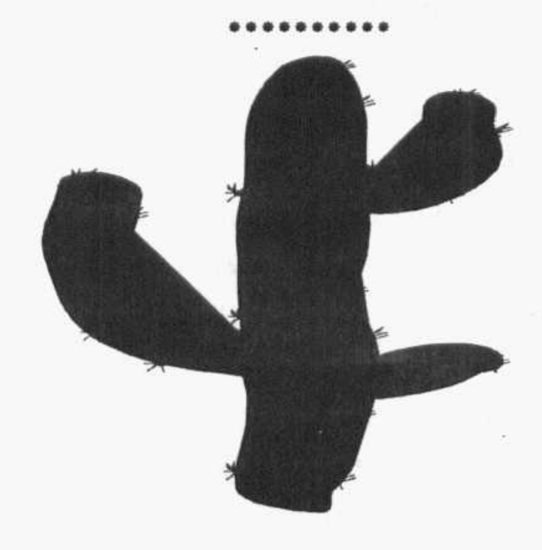
يسيطر على تعابير وجهها حينما رحب بهـا فـى مكتبـه ، وسـاعدها فـى إجراءات التوظيف ، وبعدها توالت اللقاءات وتنوعت الأحاديث فتوطدت أواصر المحبـة والتفـاهم وأعلـن بـدء رحلـة رسـم لهـا لونـاً وشـكلاً خاصاً..فكانت كما أرادها ، وكانت تلك الصـورة التـى تجمعهـا فـى حفـل زفاف متواضــع تنقلهـا يومياً إلـى لحظـات خـالدة توقـت بـأصدق وأنبـل علاقة..والوقت يعود مـن جديـد ليجرفهـا مـن بحـر الذكريـات..فهـا هـى عقارب الساعة تلدغ الثانية عشرة ليلاً ، وها هى تطرح عبثاً من بعض هواجسها فربما ذهب ليبتاع بعض الورود فهو يعرف كم أحب الـورود وقد اخبرنى مرة بأن حياتنا أشبه مـا تكـون بجنـة ورود ووعدنـى بـأن الورد رغم قسوة هذى الحياة ورغم تزايد التعقيدات والصراعات سيبقى لغتنا الوحيدة..كم يحب الحديث عن الطبيعة والجمال. مضى وقت طويـل مذ كتب لى آخر مرة سأخبره عندما يعود أننى اشتقت لكتاباتــه الجميلـة لانها تنطلق بصدق وعفويـة وتعـانق أحاسيسـى بـدفء وحنـان . ولكـن متى سيأتى ؟ لم يخبرنى أنه سيزور أحداً ..حتـى والدتـه التـى عـانقتنى قبل سويعات معدودة أخبرتنى أنها لم تره اليوم. آه يـا حسـام أيـن أنـت الآن؟ تحطمـت أفكارهـا ، ولـم يعد لديهـا القـدرة علـى الاحتمــال ، فقـد ضاقت ذرعاً بالانتظار ، بدأت ترسم صوراً جديـدة حلقت فـى عـالم مـن التصورات .

تنظر إلى تلك الصورة بلهفة وكأنها تشاهدها للمرة الأولى . لكن جـرس الهاتف أيقظها من حلم الذكريـات وأحـدث برنينـه إنفجـاراً عظيمـاً حـرك جدران المنزل ، حتى الصورة تحركت تفاصيلها وبخوف شديد

وبخطى بطيئة مترددة اقتادتها قدماها نحو الهاتف وبرعشة لـم تعتريهـا من قبل امتدت يداها تمسك السماعة مطلقة العنان لصوت أجـش جلجـل فى أركان المكان الدنيا صحت معها وكأن الليل فـى لحظـة واحـدة أحيـل إلى وضح النهار..صوت أيقظ كل الذكريـات وأطفأهـا فـى نفـس اللحظـة صوت أيقظ الزمن وبعثر الـورود مـن بيـن يديهـا وألقـى بكلمـات الحـب بعيداً وبكلمات معدودة أعلنت الحياة حالـة مـن الحـزن والألـم وانقطعت شرايين العمر وتلاشت لهفة اللقاء بعد أن تاهت معانى اللقاء فى ترانيـم صوت لاينفك يردد فى كل لحظة ويوقظ كل الأحزان: منزل السيد حسـام محمد..أجل أجل سيدى..هل حدث مكروه لحسام ؟

أنا آسف ياسيدتى لقد تعرض حسام لحادث سير مؤسف حاولنا أن نفعل شيئاً لكن إرادة الله كانت أقوى من كل محاولاتنا .

****



الضمير أفقدها الوظيفة !!

تطالع الصحيفة اليومية باهتمام ، تتابع الإعلانات هنا وهنـاك .. علها تعثر على وظيفة تناسب تخصصها فى اللغة العربيـة ، وجدت إعلاناً فحواه " مطلوب مدرسون ومدرسات للغة العربية .. الخبرة شرط أساسى " لكنها خريجة حديثة ، ولكن تميزها فـى كتابـة الشعر أعطاها بصيص أمل . رفعت سماعة الهاتف وأدارت القرص .

أجابها رجل لبق فى حديثه .. جملـه منمقـة .. استفسرت وسـألت عن الوظيفـة .. أخبرتـه أنـها لاتملـك الخـبرة ولكنـها تتمـيز فــى الكتابــة .. إنشرح صدر ذلك الرجل ورأى أن هذه الخريجة فرصة ثمينة .. فسـألها ما إعراب : (إياك نعبد) خانتها العبارات وغـاب عن ذهنـها لحظتـها أن (إياك) ضمير منفصل فى محل نصب مفعول به .

ماذا حدث لها ؟ !! هل فوجئت بسؤاله ؟!! ولماذا لم تجب ؟!!

رغم أن تلك القواعد البسيطة لاتفارقها .. توقفت عن الكـلام .. تعثرت الجمل فى فمها .. فجاءتها الإجابة : آسفون نحتاج خبرة .

أغلقت السماعة وندبت حظها . وظل السؤال يتردد فـى ذهنـها هـل هـذا الضمير المنفصل يدل على ضعفى فى تخصصى؟ هلى هذا السؤال سـبب كافٍ لافقد الوظيفة .

****

الرماد المشتعل !!

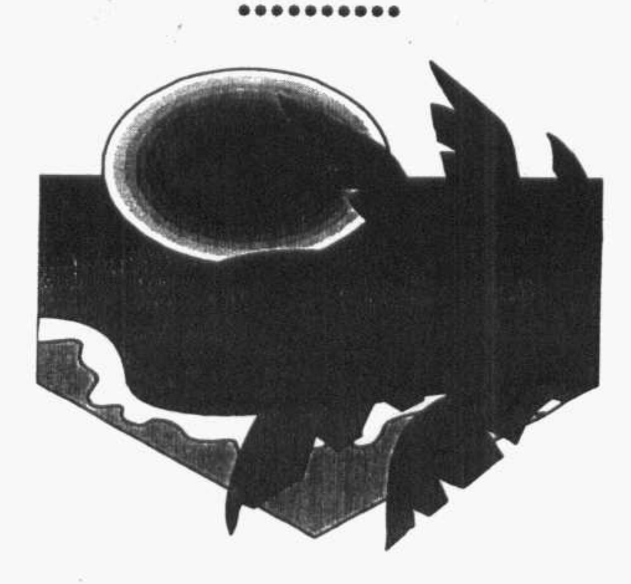
عندما يلسعه الزمن وتمضى أيامه جرياً فى تلعثمها لايفهم لها شيئاً يقول إنها زلة القدر تتصدع مشاعره فى ليله المزمن تبحث عن شروق للأمل فى كل زاوية فى كتبه البالية فى علبه الفارغة تحت السجادة فى الصور المنسية يستسلم لليأس مرة أخرى فقد كره تسلق الريح ونبش قبور الأشياء .. أدار قرص الهاتف دون جدوى .. وكره تفكيره البالى حيث تخرج آهاته رثة من أعماق مقتولة وفى فجر الليل يدخل أذانه تجاويف قلبه .. يشعله نيراناً سرعان ما ينطفئ ويتلاشى باصطدامه بحائط الروتين دون قوة الإيمان .. يزعجه شخير الوقت .. يدير جهاز التسجيل .. تنتشر موسيقاه معذبة كغناء ألحقه المطر .. تلف الغرفة ريح باردة تنخر العظام .. تقوده نفسه ليصنع القهوة يرتشفها فى جنون وكأنه بها ليله .. يغفو خمس دقائق فى قيلولة صباحه اليتيم ليستيقظ .. تجره الريح الباردة بستائرها المترنحة ودون إدراك يفتح الباب على مصراعيه .. تغيب بقاياه فى الظلام طريق ممتد تحرسه وحشية الأشجار العارية وكأنها قد أزالت أوراقها وتركتها تلهو مع الريح .. مطأطئ الرأس يسير كروح تتسكع بين أكداس الموتى ومن الأفق تطل الشمس مرسلة خيوطها الذهبية فتمزق أشلاء الظلام .. تسرى به .. دفء وحنان .. يصعد مركب الأحلام رأسياً على شواطئ الذكريات ومع زقزقات العصافير يسمع مناداة أحشائه .. يرفع رأسه ببطء فتخرج أناته هشة يتبعها صوته المتهدج " الله "

****

حنـــــين !!

عندمـا يـأتى المسـاء وينـداح الشـفق فـى الأفـق الغربـى . عندما تغفو السواقى على حداء عيدان القصب ، وتحضـن الطيـور صغارها..عندما تلملم الزهرة أوراقها وتنام حالمـة بيوم جميل..عندها أتذكر وجهك البرئ..يتراءى لـى فى صفحة الغيوم وجهاً دافئاً حنيناً يشع بهاء وضياء..عندما يخنقنى النشيش وتجتاحنى رغبة عارمـة فى أن ألامس وجهك الحنون أمد يدى فتذهب المحاولة سدى وينكسـر الحلم.

••••••••••



الشيطان يبحث عن وظيفة !!

ملـــل .. ضيق .. فراغ قاتل .. نطق بها شاب تدل أسارير وجهه على التبرم والعبوس .. ينم شكله عن شخصيته .. وها رأى هذا الشاب فى صورة أشبه بشيطان يائس وبالفعل كان هذا الشاب هو إبليس .. أخذ يزرع الحجرة الأرجوانيـة جيئـة وذهابا .. زافرا زفرات متلظية قائلاً : لقد أصبحت بلا وظيفة ماذا أفعل ؟ أأظل عمرى دون عمل أتكسب منه أو أستدر به عطف حكومتى..؟

كيـف أجـروء علـى الظهـور بشـوارع مدينتـى الشـيطانية ؟ ..وأنـا عاطل..عاطل .

الكل يتبع لوائـى .. هل أبحث عن عمل ؟ وأين لى بالعمل الموافق لأساليب مهنتى .. لقد نفدت جعبتى هب من مكانـه منتفضاً نافضاً عن رأسه أثقال خطراته وهو إجسه المزعجه .. اشتعلت فى رأسه فكـرة .. فكرة شيطانية بحق .. أن يصبح داعية دينية .. يصلح للعالم شئونه .. حتى إذا أصبح العالم متدينا عاد من جديد ينفث آثامـه ويبسط شعوره فـى نفوس العالم ثم هرول مسرعا بأقصى إصرام لينفذ مخططه .. إبليس داعيه دينية .

****

سأرحـــل !!

تصحـــر كبـدى يـا أمـى..صبـاح الخـير أولاً..فاجـأك الخبر..لاتحزنى يا امرأة أنجبت نصف جسد..لماذا تبكين على حلم من ورق ؟

هل قرأت قصيدة العبث ؟ إنها ورطة (سيديف) للأبد..امسحى الدمع عن عينيكِ..فمسح الدمع سنة من سنين العبث..أنا ذاهب إلى الله غداً..هل تريدين شيئاً من المطر؟ هل تحبين النجوم؟ بعد غدٍ سأقذف إليكِ بالقمر..ينبغى الآن تعديل ميثاق الفلسفة هكذا قالت الصفصافة..ينبغى تعديل طول الرقبة هكذا قالت المقفلة المهيأة..الساعة الآن قبل ساعتين بعد ساعتين سأرحل..ستأتى فتاتى الأجمل..قولى لها أى شئ ولا تكملى..لا تقولى شيئاً إن أردتِ..سأرحل..أختى الكبيرة يا أمى..أحبها كثيراً..أرسليها إلى كوكب أجمل .

....



الفصـــول الأربعـــة

١- البدايـــــة ..

على مفارق الفصـول القديمـة تعـارفت حكـايتى مـع صمتـك القديـم فأنزوى أعالج الأمانى وأحلم وأحسب الساعات فى وجوم .

٢- الســـؤال ..

فكيف يأتى البحـر بالسـواقى؟وكيـف تقطـف النجـوم؟وكيـف تـورق وتؤثر الشجون؟

٣- الأمـــــل ..

بعيدة نجمـات هذا الليـل واكتفـى بشـمعة مريضـة تهيـم كالأشـباح وأنزع الوشاح عن بسمة بريئة .

٤- النهايـــــة ..

بحران يبتعدان يلتقيان والموج مشغول مع الريح والنورس ويمتـد على الشطآن مهزوماً كأعصابى .

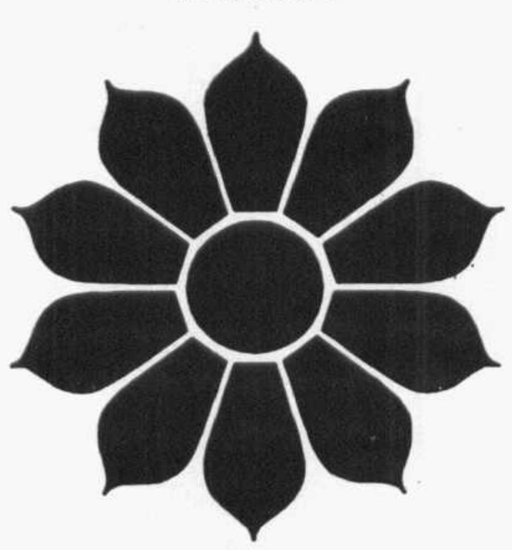
إلى راحلـــــة !!

ستبقى عيونـك الجميلـة أجمـل مـا فـى الكـون مـن عيـون .. ستبقى الكلمات بين شفتيـك كالنهـار وبستاناً مـن الفـرح والأحـزان .. ستبقـى لقاءاتنـا الصغيـرة وهمسـاتنا وذكرياتنـا كنـوزاً فـى قـاموس الحياة سيبقى طيفك سيدتى سلطاناً يحكم أقدارى وقدراً جميلاً يتبعنى فى مشـوارى .. ربمـا يمـر العمـر سريعاً وربمـا تذهبيـن مـع الريـح وربمـا تهرب الأسماء من أحرفها لكنك ستبنين فى ذاكرتى أجمـل عبق وأروع تذكار !

لا أحـــــد !!

لا أحـــد .. لا أحد يدرك ماقاله البحر للزهرة الأولى فى نفس الياسمين .. لا أحد رآه فى نشوة .. للياسمين أسطورته وعالمـه .. ولاأحد حل رموز بدايته .. سوى بحر الطهارة .. وحدى لمحتـه .. لا أحد يدرك فى عالمنا المجنزر بالقهر حتى آخر جذر .. كيف سال الياسمين حتى آخر عمق البحر ؟ .. لا أحـد فـى العصـر المحبـوك بالترهات يفهم لِمَ وشم البحر قبلته فى ليل الياسمين ؟ .. وعندما يـدرك الجميع كم هى نقية أرواحنا حتى الطهارة سيطن السنديان سلالته الأخيرة .

••••••••••



ويبقى الحب !!

تتميز بالاشجار الخضراء والمناظر الجميلة .. فتاة حلوة يحبها الكثيرون .. سيارة مسرعة لم تستطع أن ترى ذلك الجمال أو تبتعد عن الفتاة تصطدم السيارة بها تقع أرضاً .. الدم ينزف .. يتجمع الناس .. ويقولون بصوت عال : (سيارة إسعاف .. ينتظرون قليلاً .. يحملونها إلى داخل السيارة .. الطبيب إلى جانب السرير يضع أدوات العلاج .. يتكلم شخصاً كان مغرماً بها كيف أصبحت الآن ؟

الطبيب : إنها جيدة .. الشخص فى الغرفة لايترك الفتاة دقيقة واحدة تفتح أعينها السحر يخرج منها .. تصبح إنسانة .. تغادر وهى فرحانة تقول : لاأدرى كيف أشكرك ؟

وتتغير إلى الأحسن – تعامل الناس بحب وتواضع .. ، يأتى الشخص المغرم بها ويطلب يديها .. تقبل به .. تتزوج منه .. تعيش معه.. البسمة فى واحد منهما .. الحب هو الأمل لهما ، وتضع طفلاً صغيراً هو الحياة لها بعدما عرفت أن الدنيا لاتعرف جمال الشكل فقط بل جمال القلب والعقل أرضاً وأن التعجرف غبار يدمى أديم القلوب .

****

الوعـــــد !!

كانت تنتظر قدوم هذا اليوم بفارغ الصبر كيف لاتنتظره وقد وعدها به زوجها مراراً .. أتى هذا اليوم حيث أفاقت فى الصباح الباكر .. وقسمت بيتها ورتبت ما كان غير منتظم ثم عمدت إلى ملابس زوجها الذى خرج إلى عمله مبكراً .. وغسلتها ثم باشرت بكيها وترتيبها فى الخزانة .. وانهت كل أشغالها .. وأخذت تقتل الوقت .. لقدوم المساء الموعود .. واقترب هذا المساء .. وكانت تتلهف لعودة زوجها الذى تأخر هذه المرة .. فكرت قليلاً..

ثم دخلت إلى غرفة نومها .. وارتدت أفضل ملابسها ثم جلست على الكرسى أمام المرآة .. نظرت إلى شعرها .. ولاعبت أناملها بخصلاتها الناعمة .. ثم ابتسمت .. وفتحت جارورها لتناول علبة المكياج فأخذت تتفنن فى تلوين وجهها .. ووضعت أبيض الوجه ثم أحمر الشفاه .. ثم أخضر العيون .. فنظرت إلى نفسها .. وإذ بها أجمل امرأة فى الوجود .. ابتسمت لنفسها قليلاً بعد أن أمعنت النظر إلى هيئتها اللائقة .. نظرت إلى ساعتها وإذ بها العاشرة ليلاً اللعنة .. لقد مضى الوقت .. ولم يأت الزوج وفات موعد الحفلة .. لم تتمالك نفسها من الغضب فأمسكت بشعرها لتبعثره .. ليعون إلى غير إنتظام ومسحت وجهها بيديها دون إهتمام بالألوان التى وضعتها ليمتزج بعضها مع البعض الآخر الأبيض مع الأحمر مع الأخضر .. شكلها ما يشبه الإشارة الضوئية .. ثم رمت بنفسها على السرير لتنام ودقت الساعة الثانية

عشرة مساءً ليعود الزوج المسكين الـذى تـأخر بسبب وفـاة صديقـه ..
وما أن دخل الغرفة حتى بدأت المشاجرة واشتد الكلام لينتهى أخيراً
بالطلاق ولتكتشف هى فى النهاية أن زوجها كان قد نسىً هذا الوعد
الذى مضى عليه وقت طويل ولكنها لم تنس هى وكانت تنتظره بشغف
كبير ولم يخطر لها ببال أنها كانت تنتظر طلاقها .

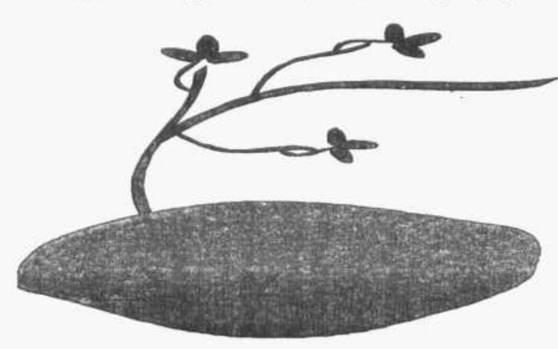
....



جــذور !!

تَدمى اليدان .. تنزف .. ينسل الدمع على حواف الصخر .. يفتح طريقاً تنتهى أمام منحدر ضيق .. تظل اليدان تنزفا دماً .. من هناك ..لا أحد .. امتداد الوديان زقزقة العصافير .. خشخشة الشوك .. تزداد مع كل حبة ريح .. تستمر هذه السيمفونية الحزينة التى تعزفها أنامل الزمن .. تندى الجبين وتقتحمه أشعة الشمس المشرقة تدخل إلى مساحات الروح والوجدان

تنتشر طيور هنا وهناك .. لكن مالها تهبط دونهما خوف .. هل يعنى أن الروح سكنت ؟ .. هل يعنى أن أنات التعب تحولت إلى ألم .. والألم تحول إلى صمت مفزع وطويل .. هل يعنى أنه مات إذنْ ؟ .. لم تعد هناك حياة .. صعدت الروح إلى بارئها .. لكن كانت هناك زهرة .. لم تتفتح بعد .. برعمها صغير قد يبدو هزيلاً .. لكنه فى يوم ما .. فى زمن ما .. سيبدو قوياً .. لأن جذوره تمتد فى تلك الروح .



فى الهاويـــة !!

أنتِ يا صاحبـة الوجـه الملائكـى .. يـاذاك الوجـه الـذى لقبتـه بالبرئ .. ياذات الأعين البنية الساحرة .. ياذات الشفاه الوردية النضرة .. ياصاحبة السحر الربانى .. أيتها الشقراء .. أجل أنتِ .. أجل أنـاديكِ أنتِ .. يامن ظلمتى .. يا من قسوتى .. يا من افتريتى .. وعلى الحب أعتديتى وعلى هذا أعتدتـى .. يـامن عهـداً وميثاقـاً نقضتـى .. لـترتمى بأحضانه .. لتطأطئ رأسك أمامه لتقبلى منه كلامه .. كل كلامــه وكأنـه حديثه مُنزلٌ .. ياوردة يشمها القاصى والدانى فتفقد عبيرهـا .. ياورقـة قبلتى أن يشمها أى إنسان حتى ولو كان مهما كان .. ليلقيها بعدهـا .. أنتِ يا من جعلتى الآهة تخرج مـن صـدرى .. ليس ألمـاً لبعدك .. بـل خوفاً عليكى .. فأنت تسيرين درباً مظلم حالك المسالك .. يـامن جعلتـى نفسك دمية يلعب بها هـو .. يـامن تعتقدين بأنـه يحبك .. يـامن غـرك كلامـه المعسـول .. واهتمامـه الكـاذب بـكِ .. أنـتِ نعم أنــتِ .. أفيقـى إستيقظى .. لاتحلمى بأنه يريد .. لا..لا.. فهو يريد أن يتفيأ بظل واحـة فى منتصف الصحراء ويشـرب منهـا ثـم يغـادر .. نعم يغادر ويـتركـكى فأنتِ بالنسبة له استراحة وهو يريد أن يملأ قلبه بحب أى إنسان ليشعر بأنه عاشق .. وكنت أنتِ حتى جعلك دميته الخشبيـة التـى لابـد يومـاً يحرقهـاوها أنـتِ تسيرين معـه .. تحملين معـه .. تصدقينـه وتكذبيـن قلبكى الذى قـال مـا أخـبركى بأنـه لايحبكـى ودليل ذلـك أنـك سبق وأن اعترفتى بأنه ليس متعلقاً بكِ وتقولين لو اعتبرنى استراحة سـأدمره .. وهاهو يروى لك قصصاً خيالية ليست حقيقية ..

ذكـــــرى !!

قـــد عادت .. حقاً عادت .. عبرات ترقرقت .. لكنه قد قطع عهداً ألا يعود لما كان .. قال إنه سوف ينساها .. ولكنـه سوف يراها .. وقف بجانب الباب يسترق النظرات .. لمحها .. رجع للخلف وسـاهم عينيه .. يسترجع لحظات الماضى التى قضى فيها أجمل الذكريات .. هل نسيت كل ما كان ؟ .. هذا ما لمحه فى عينيها الحائرتين .. تقدم ونظر إليها .. ألقى عليها السلام سريعاً .. جلس وحدث غيرها حتى لا يمتد حديثه معها .. لم ينظر إليها إلا لمحات سريعة لا يريد أن يعيد تلك الذكريات التى تطرق بوابة الذكريات فتترقرق العبرات على الوجنات الحائمة مرة أخرى .. ودعها فى نهاية اللقاء إلى لا لقاء بعد ذلك اللقاء .. وعاد يجلس مع قلبه وحيداً يريد أن ينسى ذكرى إنسانة .

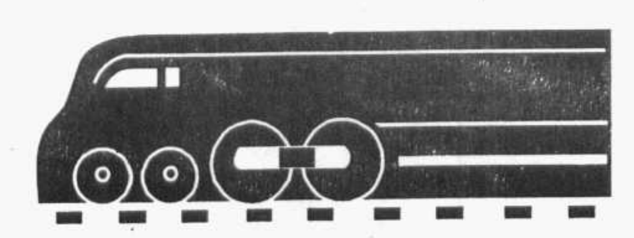
••••••••••



أحـــلام باهتـــة !!

أعلـــن وصول القطار فاخترقت الزحام ولا أدرى حول عينيـى تترقب نزل الركاب .. إقتربت .. وقفت .. وإنتظرت نزول التى إنتظرت منذ زمن بعيد .. فتحت الأبواب .. وبدأ الجميع ينزل .. كل يلوح للآخـر .. مرحباً به غياب طال أو قصر .. وأنـا أراقب الواحد تلـو الآخر . . وأبحث وجها وجها .. وعيناى تدوران فى كل مكان .. ولكن لا أحد .. حتـى بـدأت أفقد الأمـل .. حتـى ظهرت الحبيبـة .. تلـوح علـى وجهها علامات الأسى والألم .. وأطلت تنظر حولها .. وجمت سرت رعدة فـى جسدى ثم أفقت .. ذهبت إليها لأطوقها وأزرع قبلة فـى جبينهـا .. بعد رحيل طويل وغياب حزين .. ومازال بعيداً ولم يعـد مـن سـجنه الغريـب .. فقد عادت إلى مقطـورة أخـرى لتحملهـا .. لرحلـة جديـدة فـى سـجن الحياة الكئيب وعالم الاحتلال والاغتصاب الرهيب .

....



تجاعيد على حجر من ذهب

إهداء: إلى بطل سيناء المصرى العربى
المغوار / محمود سليمان الشواركه

الشمس ترسل أشعتها الذهبية على المنزل العرايشى الواسع الفناء .. وهو فى أروع صورة له ... وقد تجمعت فيه أشجار النخيل وسعفه الزاهية .. الذى تم تشطيره فى المساء وسار صالحاً لعمل الكراسى والمقاعد والأسبتة والقبعات .

توسط الفناء الكبير العم سالم .. وقد التفت أشجار السعف الرفيعة اللينة بين أصابعه ، وأخذ السعف الرفيع الرقيق يقفز فى حجره .

إذا سألتنى عن مساحة الأرض التى تنمو فيها أشجار النخيل على شاطئ البحر فإننى لست أدرى كم عدد الأشجار التى تجمع ساحل البحر كل عام ؟ لست أدرى .. كل ما أدريه أنه فى كل عام حين تتساقط حبات البلح القاتم اللون أو الفاقع .. ويتحول إلى رُطَبٍ .. فإنه يتم قطع طلعه النضيد فى كل مكان بالعريش وتتكون بعضها فوق بعض ويتحول شاطئ البحر الكبير وبحيرة البردويل وأسماكها لذيذة الطعم وما يجاورها أى سور عظيم تكسوها أشجار النخيل بشماسى من صنع الخالق وعلى مقربة من الساحل وسط النخيل تجلس النساء يضعن الأسبتة والكراسى والشنط المصنوعة من السعف وكذا القبعات . فكم قبعة يقمن بعملها بجانب الرجال .. فى شهرى يوليو وأغسطس

إعـــلان التوبـــة

خـــرج مـع الذين خرجـوا .. غنـى ورقـص ، ورجـع خـاوىَ

المعدة .. أمعاءه كانت ترقو كضفدع .

الموتى يعـودون

عندمـا أفكر فـى الهجرة ، وكثيراً مـا أفكر .. يزورنـى كـلُ الموتـى الذين أعرفهم .. أسـألهم بدهشـة أهـى القيامـة ؟!! هـل نفـخ إسرافيل فى البوق ؟!! يقهقهون بفرح ..
أعاود السؤال ألم تموتوا ؟ يجيبون أبداً كنا مسافرين وها نحن نعـود .. استيقظ وقد عقدت لسانى الدهشة والخوف ، وأنا أتصبب عرقاً .

****



وتبقى الحقيقة !!

مهما سرحتم بخيالكم فى رسم صورة جميلة للواقع .. وأنتم أيضاً أيها المتفلسون الذين تشاطرونهم الرأى تطالبون بأدب متفائل وعندما يصارعكم أحدهم فيصور الواقع كما هو ترفعون عقيرتكم وتقولون نحن ضد الأدب المتشائم نريد أدباً متفائلاً وتنسون أو تتناسون أننا مهما بالغنا تبقى الحقيقة .

فقاعــات !!

رن الهاتف عند الكاتب ، رفع السماعة وقال : آلو رد الطرف الآخر يقول : إننى من المعجبين بكتاباتك أجاب الكاتب : ارسل لى رسالة عبر الفاكس متضمنة هذا الكلام لأننى لم أعد أثق بأحد .. مؤخراً فقد تلقيت العديد من الوعود عبر الهاتف ولكن للأسف أن جميع من وعدونى امتنع عن الإتصال بى ثانية مما جعلنى أقرر .. وهنا أقفل الطرف الآخر الخط .. فتوقف الكاتب عن الكلام وهو ينظر إلى السماعة ممسكاً بها بيده اليسرى والقلم بيده اليمنى .

****



ترتفع مياه البحر وتجئ السياح التى لا حصر لها وتشاهد القبعات والأسبتة الناصعة اللون .. ، ولا يمر وقت طويل حتى تمتلئ المدينة بالأسبتة والقبعات المزركشة الدقيقة الصنع .. الرائعة المنظر ويتنافس السياح على شرائها:" قبعات رائعة ..قبعات العريش البلدية الأصيلة " .
وكان هذا الرجل يقوم بعمل كراسى ومقاعد من جريد النخل ويزيلها بالسعف ..لم يمض وقت طويل حتى امتدت تحت قدميه قطعة كبيرة من جريد النخل ..بدت وكأنها تفترش بساطاً سندسياً ناصعاً أو تقعد فوق جنة خضراء لامعة وبين الحين والآخر كان يتجه بصره نحو البحر فيبدو له عالماً فضياً متألقاً . وكان الضباب الخفيف يغطى صفحة البحر والنسيم يهب حاملاً على جناحيه عطراً فواحاً لأوراق الورد البلدى والياسمين والفل وأزهاره .
الباب مازال مفتوحاً وسالم لم يعد بعد .. وزوجته تجلس فى انتظاره .. عاد زوجها متأخراً كثيراً .. هذا الزوج لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره .. يضع فوق ظهره ما لم يبعه من القبعات .. وعلى رأسه قبعة كبيرة مزدانة ومزركشة بأشكال رائعة .. يرتدى جلباب أسود اللون وسروال أبيض ثقيلاً قد رفعه فوق وسطه وسار مهرولاً .. مشقق القدمين ويحميها نعالاً من الجلد العربى الأصيل .. اسمه (سالم) زعيم رجال المقاومة الشعبية فى العريش .. وقد عاد اليوم فريق الشباب المقاوم إلى مكان ما لحضور اجتماع مع رجال



الأمن المصرى المختفى بين ثنايا الجبال والأودية . رفعت الزوجة رأسها وقالت باسمة :

" لماذا عدت الليلة متأخراً هكذا ؟ .. " إيش جرالك يا رجل مش عوايدك يعنى التأخير هدا كله .. وين كنت يا سالم ؟ ."

ثم هبت واقفة تستعد لإحضار (صيادية السمك) بالأرز المفلفل له .

جلس سالم على الأرضِ قائلاً : " لقد أكلت ، فلترفعى الأكل فى مكانه مرة أخرى ". قبعت المرأة على الأريكة أخذت تتفرس فى وجه زوجها .. فأحست بعض الحمرة تكسو وجهه ووجدته يتلعثم فى كلامه فسألته : " وين بقية الرجالة ؟ " قال سالم : " ما زالوا فى القيادة استعداداً لتخطيط جديد على اليهود وضربهم فى معاقلهم ... وأبوكِ وين ؟ " قالت الزوجة " نائم " .. وسليم ؟ "

.. ذهب مع عمه للعيد معظم النهار ، فنام مبكراً .. لماذا لم يعد الآخرون ؟

ضحك سالم ..أحست أن هذه الضحكة غير طبيعية (ماذا جرى لك؟)

قال سالم بصوت منخفض :

فى الغد سوف اذهب فى عملية فدائية ضد الملاعين (أولاد الكلب) اليهود

أخذت أصابع المرأة ترتجف - يبدو أن سعف النخيل قد جرح يدها فوضعت إصبعها فى فمها وأخذت تمصه ..

قال سالم : " اجتمعنا اليوم مع القيادة المصرية ، وعلمنا أن العدو أقام

له قاعدة فى " الشيخ زويد " وسوف يشكل ذلك جبهة له مع موقعه فى ذلك المكان . وهكذا سوف يتغير الوضع القتالى فى سيناء .. لذا فقد تقرر فى الاجتماع

تكوين فريق مقاتل وكنت أول من رفع يده وسجل اسمه " .

أحنت المرأة رأسها وهى تقول :

" أنت دائماً متحمس هكذا .. تعشق وطنك وأرضك "

قال سالم :

" أنا قائد المقاومة الشعبية بالعريش والشيخ زويد نفسها .. من الطبيعى أن أتقدم الصفوف .. وقد سجل عدد منهم أسماءهم أيضاً من عدة قبائل وعائلات . لكنهم خوفاً من أن تقعدهم زوجاتهم عن الذهاب . فاختارنى الجميع كى اذهب إلى زوجاتهم وأتولى إقناعهن .

كلهم يشعرون أنكِ أكثرهن عقلاً ورشداً " .. صمتت المرأة ثم قالت بعد لحظات : " اذهب حيث شئت لن اعترض طريقك ولكن ماذا سيكون حال البيت ؟

أشار سالم بيده إلى حجرة والده مطالباً إياها بأن تخفض صوتها قليلاً ثم قال : " البيت من الطبيعى أن يكون هناك من يرعون البيوت .

إن مدينة العريش صغيرة ، وقد إنضم إلى المقاومة الشعبية هذه المرة سبعة أفراد من البلاد المجاورة لنا وأصبح عدد الشباب فى المدينة قليلاً ، ولا نستطيع أن نعتمد على غيرنا فى كل شئ ، فلتبذلى مزيداً



من الجهد ، فأبى شيخ كبير وسليم مازال طفلاً لايستطيع مساعدتك "
طفرت عبرة فى صدر المرأة لكنها لم تبكِ .
فقد قالت : " مادمت تفهم أمور البيت هكذا فلا بأس " .
أراد سالم أن يطيب خاطرها .. لكن مازال هناك الأمور الكثيرة التى تحتاج إلى تدبير فاكتفى بقوله : " أنتِ تتحملين العبء الأكبر وسوف أعود إليك معبراً عن شكرى وامتنانى بعد أن أقهر الصهاينة (ولاد ستين كلب) .
قالها وذهب إلى عدد من الأسر الأخرى .
قال : أنه سوف يتحدث إلى والده بعد عودته .. لم يعد سالم إلا مع مطلع الفجر .. كانت زوجته لاتزال تنتظره بالحوش وقالت حين رأته :
" إذا كانت لديك نصائح أخرى فأخبرنى بها " !!
" لا شئ . أنا ذاهب وعليك ألا تكفى عن المثابرة والعمل " ... " نعم "
" أرجو أن تكونى دوماً فى المقدمة " ... " نعم " وماذا أيضاً " ؟
" لاتدعى الخونة والأعداء ينالون منك ما دام فيك رمق من حياة ، إذا قبضوا عليكِ فاستميتى معهم " ولا تنقطعى عن الصلاة والدعاء " .
كانت هذه هى أهم جملة أراد أن يقولها سالم..فأجابته زوجته بعيون دامعة .
فى اليوم التالى أعدت له زوجته " صُرة " صغيرة فيها سترته الصيفية وفوطة وحذاء ، وأعطته الأسر الأخرى عدداً من الصُرر المتجانسة ليحملها إلى زملائه المناضلين .

خرج الجميع لوداعه عند الباب ..جذب الجد سالم من يده وقال محدثاً ولده : " سالم .. إن ما تقوم به يا ولدى عمل شريف وجليل ضد الملاعين الصهاينة ، وربنا معاك يحفظ خطاك ويوفقك ويرجعك لينا منصور .. ، لن أمنعك من القيام بهذا العمل بالرغم من حاجتنا الماسة إليك .. ولكن الوطن والأرض كالعرض أهم شئ فى الوجود .. فاذهب مطمئن البال وسوف أرعى زوجتك وولدك فاطمئن واعتمد على الله " .
خرج كل من بالعريش نساء ورجال وأطفال وشيوخ لوداعه .. ابتسم سالم
للجميع ابتسامة عريضة ثم استقل الجمل وسار فى طريقه الوعر الملتهب بحرارة الشمس ونار القلب وقيظ الطريق الحارق وسط الفلاة على أية حال كانت النساء من عرايشيات وبدويات تشعرن بقلوبهن متعلقة بأزواجهن تعلقاً شديداً . بعد يومين اجتمعت عشر سيدات شابات فى بيت (سالم) ودار هذا الحديث : " يقال أنهم مازالوا هنا لم يبرحوا .. بسبب ملاحظة ومتابعة الدوريات الصهيونية لهم " .
– أنا لا أريد أن أعطله ، ولكننى نسيت أن أعطيه بعض الملابس والطعام لأنه يجوع بسرعة شديدة " – " وأنا تذكرت كلاماً مهماً يجب أن أسر به إليه " .
قالت زوجة سالم :



" سمعته يقول أن العدو سوف يتخذ قاعدة له فى الشيخ زويد .... " .

" أنى يلتحمون بهذه السرعة " !!

- " فى الحقيقة أنا لا أريد أن اذهب ولكن حماتى تصر على أن اذهب لرؤيته ولا طائل وراء هذا " !!

وبسرعة أخذت السيدات جمالاً واتجهن سراً إلى قرية أبى صقل .

بعد وصول السيدات إلى القرية لم يجرؤن على النزول إلى الشارع بحثاً عن أزواجهن خوفاً من مراقبة أحد لهن . فنزلن بيت أحد الأقارب فى أول القرية المطلة على البحر مباشرة فى ربوة مرتفعة رائعة الجمال ، فأخبرهن بأنهن لسوء الحظ قد تأخرن .. فقد ظل أزواجهن حتى ليلة أمس ورحلوا عند منتصف الليل ولا أحد يدرى إلى أين اتجهوا ؟ !! فلا داعى للقلق . وقد سمع أن سالم قد تولى منصب نائب قائد المقاومة بمجرد وصوله والجميع فرحون مستبشرون .

انصرفت السيدات خجلات واتجهن إلى الجمال التى كانت تهتز بجانب الرمال المتحركة وسط الجبال ولهيب النار التى يلفظها حرارة الجو .

والآن قارب النهار على الانتصاف واختفت الغيوم على مرمى البصر .

غير أنه كان هناك نسيم بارد مع مياه البحر ، أخذ يهب من ناحية الشمال عابراً شتلات الطماطم واللوز والخوخ وأشجار النخيل .

لم يكن هناك أية قافلة . بدت الصحراء فى حركتها التى تذروها الرياح ارتفاعاً وانخفاضاً كأنها تنساب وراء الأفق بغير حدود .

انتابهن شعور بالإحباط والحزن .. كانت كل واحدة منهن تلعن ذلك الزوج غليظ القلب . لكنهن لم يجدن صعوبة فى تجاهل هذا الشعور فتلك هى طبيعة الشباب الذى يفكر ويسعى أبداً وراء كل ما فيه البهجة والسرور ويقدم الروح والحياة ليعيش اسم بلاده للأبد .

فلم يمض وقت طويلاً حتى عادت النساء للحديث والمرح .

- " أترون .. قالوا راحلين وعلى الفور رحلوا " .

- " يا للفرحة لم أره سعيداً كل هذه السعادة من قبل ، حتى ولا فى ولا حتى فى ليلة زفافنا " " ربط حصانى فى وتده وكان مطيعاً " .

- " مستحيل فقد جنح الحصان " !!

ما إن انضم إلى القوة الضاربة والمقاومة الشعبية ضد اليهود حتى نسى كل من البيت .

- " حقا ما تقولين .

حدث إن كان يقيم فى بيتنا فريق من شباب العائلات والأقارب كانوا يرفعون أصواتهم بقراءة القرآن الكريم من الصباح الباكر حتى آخر الليل . لم نعش مثل هذه البهجة طول حياتنا . وبعد أن كانوا ينتهون من مرحهم يقعدون بغير عمل يعملونه سوى عمل الفطير أو " اللبّة " تحت النار وهى عبارة عن قطعة من العجين مع الملح . ويشعلون النار ثم يضعونها تحت الرماد ، وبعد تغير لونها مُحَمّراً بغبار الرماد وبعض الرمال يأكلونها بلذة وشراهة وكأنها قطعة لحم لغزال أو خروف مشوى



- كنت أفكر فى بلاهة ! يجب أن يقعدوا ويسكنوا .

- ماذا تظنين أنهم كانوا يفعلون ؟

- كانوا يمسكون بقارورة الزجاج ويضعون داخلها جازاً أوبنزيناً ممزوجاً بقطعة قماش تأهبا لأى مرور سيارة دورية لليهود .. ، وكانوا يصنعون آلاف الزجاج الحارق ويخفونه أسفل الأرض . وأيضاً كانوا يمسكون بأصابع الطباشير ويرسمون على جدران البيت فى الحوش الكبير دوائر كثيرة وينبطح كل واحد منهم فى الفناء ويصوب على هذه الدوائر ثم يعاودون قراءة القرآن والأحاديث النبوية الشريفة

رحن يحثن الجمال (سفينة الصحراء) بهدوء وكانت ترتطم بجانبى الهودج . كانت كستناءة الماء تطفوا بسلاسة وهى لاتزال غضة صغيرة وبيضاء ناصعة وبسلاسة أيضاً تخبوا فى الماء ثانية ، أخذت تطفوا بهدوء على صفحة المياه مع زمجرة الرياح وهدير الأمواج المتلاطم .. وراحت تكبر وتكبر . - " أتدرينَ أين يكونون الآن " ؟

- " لا عليك ربما فروا وراء معسكرات الأعداء " !

- رفعنَ جميعاً رؤوسهن وأخذن يتطلعن إلى مكان بعيد .

- " هناك جمال مارة فى هذه الناحية " . " جنود إسرائيليون .. انظرى ملابسهم " ! " أسرعنَ .. " . أسرعت الجمال فى استماتة بسبب مواجهة الرياح لهم ....



ربما انتابهنَّ الشعور بالندم فى هذه اللحظة ، فما كان يجب أن يخرجنَّ هكذا فى هذا الطريق على غير هدى . ربما كن يشعرن فى قرارة أنفسهن بالسخط على هؤلاء الرجال الذين ذهبوا بعيداً لايلوون على شئ لكنهم عدنَّ يفكرنَّ فى أنه لا يجب التفكير فى أى شئ الآن .

- فليسرعنَّ بالتحرك .

السيارة المصفحة الكبيرة تلاحقهنَّ بين مرتفعات ومنخفضات وادى العريش ... حتى صارت على مقربة منهنَّ ... اقتربت السيارة أكثر وأكثر .

لحسن الحظ أن هؤلاء السيدات الشابات قد نشأنَّ وترعرعنَّ فى أحضان الصحراء وقسوتها فكنَّ يجرينَّ بالجمال بسرعة مذهلة .

كانت الجمال تتراءى للناظرين وكأنها سمكة بورى تقفز قفزات عالية فوق سطح الأرض اللاهبة لقد دُربنَّ منذ صغرهنَّ على قيادة هذه الجمال فكنَّ يقدنه وكان يجرى كالملوك .

- إذا ما لحق بنا العدو الصهيونى ، فنلقى بأنفسنا فى جبل الرمال المتحركة وليكن ما يكن .

أقبلت السيارة من ورائهنَّ بسرعة شديدة . كان من الواضح أنهم الأعداء . أخذت السيدات الملثمات وجههنَّ يجاهدنَّ أنفسهنَّ ويحّاولنَّ إسكات نبضات قلوبهنَّ الواجفة .. لكن أيديهنَّ الممسكة بحبل القيادة للجمال لم تهتز .

كانت الجمال لها خف عريض ومفلطح تساعدهم على عدم الانغراس فى

الرمال المتحركـة .. ، وكـان الخـف يرتطـم بالأحجـار المجـاورة للرمـال بصوت عالٍ على جانبى القافلة .

- " فلنتجه صوب الرمال المتحركة ولنتعمق أكثر فالسيارة لـن تستطيع ملاحقتنا .

أسرعن بالفرار نحو الرمال المتحركة وهنَّ لايدرينَّ ما اتساعها .

على مرمى البصر كانت أوراق نبات السكران والحنظل الكبيرة الكثيفة فى امتدادها بغير حدود تحتضن أشعة الشمس المتوهجة ، وتبدو فى امتدادها وكأنها حصن منيع .. وترتفع سيقان نبات الصبار مثل الصواريخ المعدة للانطلاق أمام الأعداء ... عالية فهى ذلك الحارس الآمين الذى أخذ على عاتقه مهمة حراسة الجبل والرمال الناصعة البياض .. اتجهنا نحو أشجار النخيل المتشابكة وأخيراً وبعد جهد جهيد دلفت القافلة إلى أعالى الرمال المتحركة .. أخذت جماعة البط البرى والعنادل تصيح مذعورة بصوت حاد وتضرب الهواء بأجنحتها وهى تحلق فوق أشجار النخيل .

فى تلك اللحظة انطلق وابل من الرصاص خرق سماع هؤلاء السيدات .. واهتزت له أرجاء المدينة . حينئذ ثبت فى روعهنَّ إنهنَّ وقعنَّ فى فخ نصبه الأعداء لهنَّ ، وصار مؤكداً إنهنَّ سوف يلاقينَّ حتفهنَّ . فألقينَّ بأنفسهنَّ فى الرمال المتحركة وشيئاً فشيئاً اتضح لهنَّ أن صوت الرصاص متجه إلى الخارج . حينئذ أطلنَّ برؤوسهنَّ من تحت أشجار النخيل الغارقة إلى آخرها فى

الرمال المتحركة .. يتبينَّ الأمر فرأينَ على مقربة منهنَّ وجه رجال يطل من بين أوراق النخيل الضخمة الكثيفة وأكثر من نصفه بين أوراق الشجر .. هل تحولت سعف النخيل إلى أشخاص ؟ !!

- هذا هو سالم الذى نعرفه ؟

رحنَ يتجولنَ بأبصارهنَّ يمنة ويسرة حتى وجدت كل واحدة منهنَّ زوجها .. إنهم هم أزواجهنَّ حقاً ! لكن هؤلاء المناضلين المختبئين بين أوراق الشجرالكبير لم يلمحوا زوجاتهم فقد كان كل تركيزهم هذه اللحظة فى التصويب على العدو .

كان صوت الطلقات مدوياً . بعد حوالى خمس طلقات أسرع الرجال من قمة الجبل مهاجمين سيارة الأعداء بعد إلقاء قنابلهم اليدوية عليهم . أغرقت القنابل سيارة الأعداء تماماً ولم يتبق على السطح سوى رائحة البارود والزجاجات الحارقة والديناميت . هناك راح المناضلون يتضاحكون بصوت عالٍ ويجمعون الغنائم . أخذوا يجمعون خيرات الأعداء . وأخذوا يتسابقون فى التقاط البنادق وخراطيش الرصاص .... وكذلك أكياس الخبز الجاهز والجبن والحلوى التى وقعت بفعل انحدار السيارة من أعلى إلى أسفل .. ثم نزل سالم ماء البحر وراح يضرب بيديه الماء ويتتبع شيئاً تتدافعه الأمواج وكان علبة بسكويت ورقية رائعة .

جلست السيدات فى قارب صغير بالقرب من الشاطئ والماء يبللهن من الرأس إلى أخمص القدمين .. عاد سالم رافعاً إحدى يديه بعلبة

البسكويت ضارباً الماء بيديه الأخرى بكل قوته حتى لايغرق ثم اتجه إلى القارب وصاح : (اخرجنَّ ! هيا !) .. انتابه غضب شديد .
اضطررنَّ إلى الخروج من قاع القارب وفجأة خرج لهنَّ من تحت القارب رجل تعرفه زوجة سالم فهو قائد القوات المقاومة المصرية بالمنطقة .
أخذ ذلك الرجل يمسح الماء عن وجهه واتجه يسألهنَّ :
" ما الذى آتى بكنَّ " ؟
أجابت زوجة سالم " أتينَّ لإحضار بعض الملابس لهم .. إيش فيها يعنى بيضايق " ؟ استدار القائد إلى سالم قائلاً :
- " هل كلهنَّ من العريش " ؟
" ليس المهم من هنَّ ، المهم إنهنَّ جماعةٌ من الحمقاوات " !
قالها ثم القى بعلبة من البسكويت فى القارب القابعات بداخله .
وراح يتمطى الجمل إلى قاع الجبل ثم ظهر فى مكان بعيد .
قال القائد مازحاً :
" على العموم .. لم يضع مجيئكم سدى ، فلولا كنَّ لما تم الكمين بهذه الدقة ، والآن انتهت مهمتكنَّ ويجب أن تعدنَّ لتجفيف ملابسكنَّ ، فما زال الأمر خطيراً . قام المناضلون بوضع كل الغنائم التى غنموها فى جراب الجمال التى معهم واستعدوا للتحرك . قطع أحدهم جريدة من جرائد سعف النخيل الكبيرة ووضعها فوق رأسه تحميه من شمس الظهيرة . راحت



السيدات يلتقطنَ الصُرر الصغيرة التى وقعت على الأرض ويلقينَ بها إليهم .

سار المناضلون بجمالهم نحو الجنوب الشرقى للعريش . انطلقوا كالسهام .

لم يمض وقت طويل حتى كانوا قد تلاشوا فى ضباب الظهيرة الذى غطى مرتفعات الوادى ومنخفضاته . أخذت السيدات جمالهنَ وانطلقنَ عائدات إلى بيوتهنَ . كانت كل واحدة منهنَ كالفرخ المبتل . وعلى طول الطريق عدنَ إلى الكلام والضحك بعد كل ما مر بهنَ من إثارة .

– قالت إحداهنَ وكانت تجلس عند مقدمة القافلة وهى بادية التذمر :

– " هل رأيتنَ هؤلاء القساة ! رأونا وكأنما لم يروا شيئاً يذكر ؟

– " حقاً ، وكأننا قد فعلنا فعلة نكراء " . تضاحكنَ هنَ أيضاً . لم يكن ما مر بهنَ أمراً مبهجاً ولكن :

– " لم نكن نملك بنادق ، إذا كانت لدينا بنادق لما كنا فررنا إلى الرمال المتحركة وكنا اشتبكنا مع العدو فى المرتفعات والمنخفضات دون خوف أو رهبة . – " ما رأيناه اليوم كان حرباً حقيقية ، فما هو الشئ الخارق فى أن تحارب – الأمر لايحتاج منك أكثر من شجاعة وإحساس بعدم الخوف وأى إنسان بعد ذلك يستطيع أن ينبطح ويطلق الرصاص " ! .

– " عندما انقلبت السيارة كان بإمكاننا أن نلتقط الغنائم .

– أنا متأكدة أننا أفضل ولا يخيفنا جذب الرمال إلى أسفل .

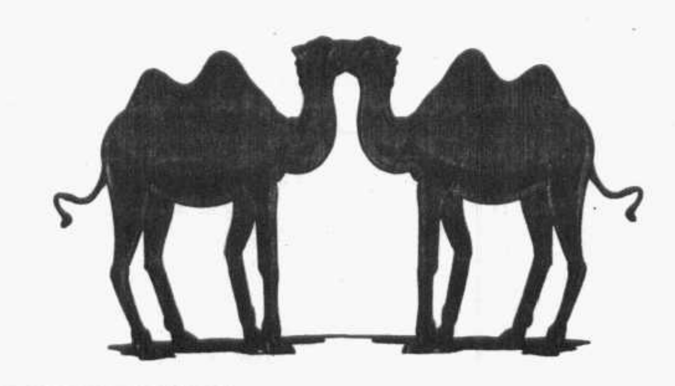
- " أيتهـا الأخـت زوجة سالم ، يجب أن نكون فريقاً عندما نعود وإلا فلن نخرج من البيت ثانية " !

- " ينظرون إلينا بإحتقار على أننـا نكـرةً بمجـرد أن ينضمـوا إلـى المقاومة الشعبية الضاربة لليهود .

- فما بالك مر عامان فسوف يعتبروننا لا شئ وينظرون إلينا على إننا متخلفات عنهم كثيراً " !

فى خريف ذلك العام ، تعلمنً الرماية . وفى الصيف عندما جاء موسم صيد الأسماك ، أخذت كل واحدة منهنً جملاً وطارت به كالشـهاب تقوم بالحراسة جيئة وذهاباً .

- عندمـا حـاصر العدو مدينـة العريـش .. أخـذنً فـى إعـداد النسـاء والأهالى للحرب وتدريبهم على الدخول والخروج من المدينـة لضرب الأعداء فى معاقلهم والعودة سالمين .



الفهرست

تابع الفهرست

الأديب في سطور

* حســــــن غريـــــب أحمــــــــد
* عضـــــو إتحـــاد كتــــاب مصــــر
* أمين عـام جماعـة الأدب العربـى بشــمال سـيناء
* عضـو بمجلـس إدارة نـادى الأدب بقصر ثقافـة العريش
* صدر للأديـب (الحـب الأول) مجموعـة قصصيـة
* (لا وقـــت لـــــلآه) ديـــوان شــــعر
* (رغبـات تحـت المطــر) مجموعــة قصصيــة

تحت الطبع مجموعة (امرأة تعزف على الأسلاك الشائكة)

* ينشر للأديب العديد من القصص القصيرة والدراسات النقدية والشعر فى الصحف والمجلات المصرية والعربية المتخصصة

****

رقم الايداع بدار الكتب٢٠١١/٧٠٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N

مطبعة الفارس العربى بالعريش